المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

التدابير الشرعية والعملية في مواجهة موجة الغلاء العالمية

التدابير الشرعية
للخروج من الأزمات الاقتصادية
عام الرمادة ١٨هـ أنموذجًا

بحثٌ مُقدَّمٌ إلى

المُؤتمَرِ الدَّوليّ الأوَّل لكليَّةِ أصُول الدِّين والدَّعوةِ بالمنصورة

بعنوان

التَّدابير الشَّرعيَّة والعَمَليَّة في مُواجهة مَوجةِ الغلاءِ العالميَّة

الأحد ٣ مارس ٢٠٢٤ م

إعداد

الدكتور/ الدسوقي أسعد محمد الشرقاوي

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

في كلية أصول الدين بالمنصورة - جامعة الأزهر

ملخص البحث باللغة العربية

التدابير الشرعية للخروج من الأزمات الاقتصادية عام الرمادة ١٨ هـ أنموذجًا

الدسوقي أسعد محمد الشرقاوي

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، المنصورة، مصر.

البريد الإلكتروني: DesokyElsharkawy756.el@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يأتي هذا البحث تحت عنوان **"التدابير الشرعية للخروج من الأزمات الاقتصادية عام الرمادة ١٨ هـ أنموذجًا"** ليسلط الضوء على أزمة اقتصادية طاحنة حدثت في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، وقد تم معالجة هذا الموضوع من خلال تمهيد، ومبحثين، وخاتمة .أما التمهيد فقد سلط الضوء على التعريف بمفردات العنوان، كما ألقى الضوء على عام الرمادة من حيث التسمية، والأسباب، والآثار التي ترتبت عليها.

ثم ناقش المبحث الأول من البحث التدابير المادية التي قام بها عمر بن الخطاب ﷺ للخروج من الأزمة كالتكافل والتعاون بين أفراد الأمة وأمصارها، والدعوة إلى ترشيد الاستهلاك، والتخفيف ورفع الحرج حالة الأزمات. وجاء المبحث الثاني ليناقش التدابير الروحية التي قام بها عمر بن الخطاب ﷺ للخروج من الأزمة في عام المجاعة، ومن ذلك: تقديم القدوة والاستغفار والتوبة والصلاة والدعاء، وقد توصل البحث للعديد من النتائج والتوصيات من أهمها: ضرورة الجمع بين التدابير المادية والروحية للخروج من الأزمات الاقتصادية.

الكلمات المفتاحية: التدابير، الشرعية، الأزمات الاقتصادية، عام الرمادة.

ملخص البحث باللغة الإنجليزية

Sharia measures to get out of economic crises in the year of Ramada 18 AH as a model

Desouki Asaad Muhammad Al , Sharqawi
Department of Da'wah and Islamic Culture, Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wah, Al-Azhar University, Mansoura, Egypt.
Email: DesokyElsharkawy756.el@azhar.edu.eg

Research Summary:

This research comes under the title "Sharia measures to get out of the economic crises in the year of Ramada AH as a model" to shed light on the severe economic crisis that occurred in the caliphate of Omar bin Al-Khattab, and this topic has been addressed through a preamble, two sections, and a conclusion. Then discussed the first section of the research material measures carried out by Omar Ibn Al-Khattab to get out of the crisis such as example, solidarity and cooperation between members of the nation and its countries, and call for rationalization of consumption, mitigation and lifting the embarrassment of the crisis situation. The second section came to discuss the spiritual measures carried out by Omar Ibn Al-Khattab to get out of the crisis in the year of famine, including: seeking forgiveness, repentance, prayer and supplication, and the research has reached many results and recommendations, the most important of which are: The need to combine physical and spiritual measures to get out of economic crises.

Keywords: Legitimate, measures, economic, crises, year of ashes.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد،

فقد أولت الشريعة الإسلامية عنايتها بحفظ النفس البشرية من خلال اهتمامها بتوفير الطعام والشراب، ولقد امتن الله ﷻ على عباده بذلك، فقال ﷻ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [سورة قريش: ٣، ٤]، كما لفتت الشريعة الإسلامية عناية أتباعها إلى النظر في تاريخ السابقين لأخذ العبرة والعظة، ولتخطي الأزمات التي يعيشون فيها، فما من أمة من الأمم إلا مرت بأزمات متعددة وعلى رأسها الأزمات الاقتصادية، فالأزمات موجودة مع الوجود الإنساني وكل أمة من الأمم تسعى لحل أزماتها وفقا لما أعطيت من المعطيات، ونحن كأمة من الأمم لا نجد حلًا لأي أزمة من الأزمات إلا من خلال التعويل على مظلة الإسلام نصوصا ورجالاً.

لذا كان هذا البحث: **" التدابير الشرعية للخروج من الأزمات الاقتصادية عام الرمادة ١٨ هـ أنموذجًا"** ليسلط الضوء على أزمة اقتصادية؛ بل على مجاعة أكلت الأخضر واليابس في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، لكنها رغم شدتها استطاع ﷺ أن يتصدى لها وفق قواعد ومبادئ جمعت بين الأخذ بالأسباب المادية وصدق التوكل على الله، واللجوء إلى جنابه ﷻ.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في احتلال الاقتصاد لمكانة مهمة عند الأمم والشعوب، فهو عصب وشريان الحياة، وعدم إعطائه المكانة اللائقة به يؤدي إلى هلاك دول ومجتمعات بأسرها؛ والأزمة الاقتصادية أزمة حساسة وتكمن حساسيتها في كونها تتعلق بالجوانب الضرورية لحياة الإنسان التي لا يمكن الاستغناء عنها، كما أن الأزمة الاقتصادية دائما ما تكون باقورة الأزمات الأخرى كالأمنية والاجتماعية والسياسية.

أسباب اختيار الموضوع:

١. الاستنان بسنن الخلفاء الراشدين ﷺ في مواجهة الأزمات الاقتصادية، ومحاولة الوقوف على تاريخهم وطريقة مجابهتهم للأزمات، لتحقيق التأسي بهم في الواقع المعاصر.

٢. التعويل على أهمية القيادة الرشيدة التي تستطيع أن تخرج بالدول من مخاطر الأزمات.

٣. اشتمال الأزمة في عام الرمادة على الحلول المادية والروحية للخروج من الأزمات الاقتصادية.

٤. محاولة الإسهام في تجلية جانب من حياة سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ على وجه الخصوص، وهو إسهامه في حل الأزمات الاقتصادية.

٥. كون هذا الموضوع لصيق الصلة بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية، حيث يجمع بين تاريخ الدعوة من جانب والنظم الإسلامية من جانب آخر.

أهداف الموضوع:

١. محاولة الإفادة من منهج عمر بن الخطاب ﷺ في مواجهة الأزمات الاقتصادية.

٢. بيان أفضل الطرق لحل الأزمات الاقتصادية التي تتعرض لها المجتمعات الإسلامية، وهو الجمع بين التدابير المادية، والتدابير الروحية معا.

٣. تقديم الحلول الإسلامية للخروج من الأزمات الاقتصادية.

حدود الدراسة:

تنقسم حدود الدراسة إلى حدود زمانية، وحدود مكانية، أما الحدود الزمانية فتقتصر على العام الثامن عشر من الهجرة، وهو العام الذي وقعت فيه مجاعة شديدة، وسمي بعام الرمادة، وكان ذلك في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، أما الحدود المكانية فهي مكان حدوث هذه المجاعة وهو الجزيرة العربية وأرض الحجاز.

المناهج المتبعة في الدراسة:

اقتضت طبيعة هذا البحث أن استخدم مناهج متعددة وهي:

١ – المنهج التاريخي: "وهو المنهج الذي يعتمد على الحقائق التاريخية، ويقوم بتحليلها، والإفادة منها في الواقع المعاصر"[١]. وقد استخدمت هذا المنهج في جمع المادة التاريخية حول موضوع البحث.

٢ – المنهج الوصفي: " وهو المنهج الذي يعتمد على الوصف والتحليل في العلوم الإنسانية من دينية واجتماعية وثقافية "[٢]. واستخدمت هذا المنهج في توصيف الحالة، وبيان السبب في المجاعة، ومدى شدتها، ومعايشة طرق معالجتها.

٣ – المنهج الاستدلالي أو الرياضي: "وهو الذي يسار فيه من مبدأ إلى قضايا تنتج عنه بالضرورة "[٣] واستخدمت هذا المنهج في محاولة الوصول إلى العديد من الحقائق والنتائج العلمية التي ظهرت أثناء مناقشة كل جزئية من جزئيات البحث. واستخدام هذه المناهج ليس مانعًا من استخدام مناهج أخرى، تفيد الموضوع في بعض جوانبه .

خطة البحث:

عنوان البحث: التدابير الشرعية للخروج من الأزمات الاقتصادية عام الرمادة ١٨هـ أنموذجًا

المقدمة، وفيها:

أهمية الموضوع – أسباب اختياره – أهداف الموضوع – حدود الدراسة – المناهج المتبعة في البحث – خطوات العمل – خطة البحث .

---

(١) أسس ومبادئ البحث العلمي، د. فاطمة عوض صابر، د. ميرفت على خفاجة، صـ ٤٤، مكتبة الإشعاع الفنية، الطبعة الأولى، سنة: ٢٠٠٢م .

(٢) البحث العلمي في صياغة جديدة، د. عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، صـ ٣٣، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، الطبعة التاسعة، سنة ١٤٢٣هـ .

(٣) مناهج البحث العلمي، د. عبد الرحمن بدوي، صـ ١٨، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثالثة، بدون .

التمهيد، وفيه:

أولًا: التعريف بمفردات عنوان البحث.

ثانيًا: ضوء على عام الرمادة.

المبحث الأول: التدابير المادية للخروج من الأزمات الاقتصادية اقتباسا من عام الرمادة.

المطلب الأول: التكافل والتعاون.

المطلب الثاني: رفع الحرج والتخفيف حالة الأزمات.

المطلب الثالث: ترشيد الاستهلاك.

المبحث الثاني: التدابير الروحية للخروج من الأزمات الاقتصادية اقتباسا من عام الرمادة.

المطلب الأول: القدوة في القيادة.

المطلب الثاني: طلب التوبة والاستغفار.

المطلب الثالث: الدعاء وصدق اللجوء إلى الله.

المطلب الرابع: الاستسقاء.

الخاتمة، وفيها:

أولًا: النتائج.

ثانيًا: التوصيات.

المصادر والمراجع.

وبعد عرض المقدمة العامة للبحث، وبيان ما اشتملت عليه من: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، وحدوده، والمنهج المتبع في دراسته، وخطة البحث، يأتي دور الحديث عن: التمهيد العام للبحث، وذلك في الجزئية القادمة.

التمهيد

أولاً: التعريف بمفردات عنوان البحث:

للتعريف بمفردات عنوان البحث أهمية كبيرة في البحث العلمي، سواءً كان ذلك التعريف في جانب اللغة، أم كان في جانب الاصطلاح، لما لذلك من الأهمية البالغة.

أما من جهة اللغة: "فاللغة هي أداة التفكير ووسيلة التفاهم، ولذلك يجب تحديد معاني ألفاظها ومفرداتها عندما تصير مصطلحاً فنياً في علم من العلوم، حتى يتفادى الباحث اختلاف دلالة الكلمة ومعناها، وما قد يلحقها من تطور عند الاستعمال، حتى لا يقع الباحث أو القارئ في اللبس والخطأ".(١)

أما من جهة الاصطلاح: "فتكمن أهمية المصطلحات العلمية والتعريف بها في كون كل مصطلح علمي ينشأ في بيئة فكرية خاصة، يتأثر بمعطياتها، ويحمل في طياته مدلولات فكرية، وينطوي على اتجاهات عقلية وحضارية تتفق مع شخصية هذه البيئة وذاتيتها، كما يؤدي إلى رفع الخلاف الواقع في القضايا العلمية، أو التي تتصل بمنهج البحث والاستدلال، إذ كثيراً ما يقع الخلاف بسبب الغفلة عن تحديد المصطلحات".(٢)

لهذا احتاج البحث العلمي إلى تحديد مفرداته ومصطلحاته، قبل تفصيل أجزائه، ببيان أصل كل مفردة في المعاجم العربية، ثم تعريفها بما اصطلح عليه أهل كل علم وفن.

وعند تطبيق ذلك على البحث محل التناول يجد الناظر في هذا العنوان أنه قد اشتمل على المفردات الآتية:

---

(١) أثر العقيدة الإسلامية في اختفاء الجريمة، د. عثمان بن جمعة ضميرية، صـ٢٠، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(**التدابير – الشرعية – الأزمات الاقتصادية – عام الرمادة**)، وبيان ذلك على النحو التالي:

١) التدابير:

أ – التدابير لغة: جاء في معاجم اللغة: دبر الْأَمر: ساسه وَنظر فِي عاقبته[١]، والتدبير: تَقْلِيبُ الْفِكْرِ حَتَّى يَهْتَدِيَ إِلَى الْمَقْصُودِ،[٢] وفِي الكِتَاب العَزِيز: ﴿**أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ الْقَوْلَ**﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ٦٨] أي: أَلم يَتَفَهَّموا مَا خُوطِبُوا بِهِ فِي الْقُرْآن، وكذلك قَوْلُه تَعالَى: ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءانَ**﴾ [النِّسَاء: ٨٢] أَي: أَفَلا يَتَفَكَّرُون فيَعتِبروا، فالتَّدبُّر هُوَ التَّفَكُّر والتَّفَهُم[٣]. والتدبير: استعمال الرأي بفعلٍ شاق، وقيل: التدبير: النظر في العواقب بمعرفة الخير.[٤]

من خلال ما سبق من حديث المعاجم اللغوية عن التدبير يمكن القول بأن التدابير هي: إحكام الأمور وحسن التصرف فيها بتفكر وتعقل.

ب – التدابير اصطلاحًا: لم أقف على تعريف اصطلاحي محدد لكلمة التدابير، ولكن يمكن التوصل إلى تعريف اصطلاحي من خلال النظر في معاجم اللغة العربية وهو: "مجموعة الوسائل المادية والمعنوية التي يمكن التفكير فيها والاستعانة بها عند التعرض لأزمة من الأزمات، أو لمشكلة من المشاكل".

---

(١) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وآخرون، صـ ٢٦٩، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، بدون.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، صـ ١٥٧، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، بدون.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، جـ ١١، صـ ٢٦٥، دار الهداية، بدون، مجموعة من المحققين.

(٤) كتاب التعريفات، الجرجاني، صـ ٥٤، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعةالأولى: ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م.

٢) الشرعية:

يقصد بالشرعية ما كان مستمدا من الشريعة الإسلامية، وهذا بطبيعة الحال يجعل البحث يتطرق إلى تعريف الشريعة لغة واصطلاحًا على النحو التالي:

أ – الشريعة لغة: "مأخوذة من مادة شرع وَ الشَّرِيعَةُ: مَا شَرَعَ اللهُ لِعِبَادِهِ مِنَ الدِّينِ وَقَدْ شَرَعَ لَهُمْ أَيْ: سَنَّ. وَشَرَعَ فِي الْأَمْرِ أَيْ خَاض.[١] وشرع الْوَارِد شرعا تنَاول المَاء بِفِيهِ والمنزل دنا من الطَّرِيق وَفُلَان يفعل كَذَا أَخذ يفعل وَالشَّيْء أَعْلَاهُ وأظهره وَالدّين سنَّه وَبَيَّنه، وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز: ﴿**شرع لكم من الدّين مَا وصّى بِهِ نوحًا**﴾ [الشورى: آية ١٣] وَالْأَمر جعله مَشْرُوعا."[٢] والناظر فيما سبق يجد أن جملة المعاني لكلمة الشريعة تدور حول: الشروع في الأمر والعمل به.

ب – الشريعة اصطلاحا: تطلق الشريعة ويراد بها دين الإسلام بمعناه الشامل، أي: "ما شرعه الله لعباده من العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات ونظم الحياة، في شُعبها المختلفة، لتحقيق سعادتها في الدنيا والآخرة".[٣] وكل ما يحقق ويخدم مقاصد الشريعة، في حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، يدخل في هذا الصدد، كما قال الإمام الغزالي[٤]: " وَمَقْصُودُ الشَّرْعِ مِنْ

---

(١) ينظر: مختار الصحاح، الرازي، صـ١٦٣، المكتبة العصرية والدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة: ١٤٢٠ هـ، لسان العرب، ابن منظور، جـ ٨، صـ ١٧٥، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤١٤هـ.

(٢) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وأخرون، صـ ٤٧٩، مرجع سابق .

(٣) التشريع والفقه في الإسلام تاريخًا ومنهجًا، مناع القطان صـ١٥، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الثانية: ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م.

(٤) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغَزَالي الطوسي، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مئتى مصنف. مولده ووفاته بخراسان رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، من كتبه إحياء =

الْخَلْقِ خَمْسَةٌ: وَهُوَ أَنْ يَحْفَظَ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَنَفْسَهُمْ وَعَقْلَهُمْ وَنَسْلَهُمْ وَمَالَهُمْ، فَكُلُّ مَا يَتَضَمَّنُ حِفْظَ هَذِهِ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ فَهُوَ مَصْلَحَةٌ، وَكُلُّ مَا يُفَوِّتُ هَذِهِ الْأُصُولَ فَهُوَ مَفْسَدَةٌ وَدَفْعُهَا مَصْلَحَةٌ."[١] لكن ينبغي أن ننتبه أن هذا التعريف السابق ينطبق على الشريعة الإسلامية دون غيرها من الشرائع الأخرى.

٣) الأزمات الاقتصادية:

أ – الأزمة لغة: تطلق الأزمة في معاجم اللغة على: "الشدة والقحط وَ أَزَمَ عَنِ الشَّيْءِ أَمْسَكَ عنه وبابه ضرب وَالْمَأْزِمُ الْمَضِيقُ وَكُلُّ طَرِيقٍ ضَيِّقٍ بَيْنَ جَبَلَيْنِ مَأْزِمٌ[٢] كما تطلق الأزمة على السنة المجدبة[٣] يقال أزم العام اشتد قحطه، وتطلق الأزمة على فترات القحط وشح الموارد، كما تطلق على المصائب والابتلاءات".[٤] فالأزمة على هذا النحو تدور حول الشدة والقحط وندرة الموارد، وهو ما يتناسب مع موضوع البحث.

ب – الأزمة اصطلاحا: هي: "خلل يؤثر ماديا على النظام كله لأنه يهدد الافتراضات الرئيسية التي يقوم عليها النظام"[٥] أو هي " حالة توتر ونقطة تحول تتطلب قرارا ينتج عنه مواقف جديدة

علوم الدين، وتهافت الفلاسفة والاقتصاد في الاعتقاد، وغيرها (ينظر: الأعلام، الزركلي، جـ ٧، صـ ٢٢، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م) .

(١) المستصفى، أبو حامد الغزالي، صـ١٧٤، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣م.

(٢) مختار الصحاح، الرازي، صـ ١٧، مرجع سابق.

(٣) تاج العروس، الزبيدي، جـ ٣١، صـ ٢١٣، مرجع سابق.

(٤) ينظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وأخرون، صـ ١٦، مرجع سابق.

(٥) إدارة ومعالجة الأزمات في الإسلام، د. سوسن سالم الشيخ، صـ ٧٠، دار النشر للجامعات، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

سلبية كانت أو إيجابية تؤثر على مختلف الكيانات ذات العلاقة".[١]

من خلال التعريفين السابقين يتضح أن الأزمة في الاصطلاح تدور حول حدوث خلل يهدد الدول يترتب عليه وجوب اتخاذ قرارات ومواقف تتناسب مع طبيعة الأزمة.

ج – الاقتصاد لغة: معناه القصد التوسط والاعتدال، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ**﴾ [لقمان: آية ١٩] والْقَصْدُ وسط بَيْنَ الْإِسْرَافِ وَالتَّقْتِيرِ، يُقَالُ: فُلَانٌ مُقْتَصِد فِي النَّفَقَةِ. كما يطلق الْقَصْدُ على الْعَدْلُ.[٢]

د – الاقتصاد اصطلاحا: عرف العلماء الاقتصاد بأنه " سلوك الإنسان في إدارة الموارد وتنميتها لإشباع حاجاته"[٣].

هـ/ الأزمة الاقتصادية اصطلاحا: الانقطاع المفاجئ في مسيرة المنظومة الاقتصادية مما يهدد سلامة الأداء المعتاد لها، والهادف إلى تحقيق غايتها.[٤]

٤) **عام الرمادة:** عام الرمادة هو العام الذي حدثت فيه مجاعة شديدة في العام الثامن عشر الهجري، ولكون هذا العام هو أساس البحث سأعقد له جزئية منفصلة أجلِّي من خلالها تاريخ المجاعة، والسبب فيها، والآثار التي ترتبت عليها، وذلك في الجزئية القادمة.

---

(١) اتصال الأزمة ودورها في إدارة الأزمات، شوقي أبو شارب، صـ١١، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية والاجتماعية، جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر: ٢٠١٤/ ٢٠١٥.

(٢) ينظر: مختار الصحاح، الرازي، صـ٢٥٣، مرجع سابق.

(٣) أصول الاقتصاد الإسلامي، د. رفيق يونس المصري، صـ١٤، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠م.

(٤) دور القيادة في إدارة الأزمة، سلوى حامد الملا، صـ ٤٧، سلسلة كتاب الأمة، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، قطر، العدد ١٦٦، السنة: ١٤٣٦هـ .

ثانيًا: ضوء على عام الرمادة:

في هذه الإطلالة السريعة سأسلط الضوء على التعريف بعام الرمادة من حيث العام الذي حدثت فيه هذه الأزمة، ثم الحديث عن سبب التسمية، وأخيرا الحديث عن الآثار التي ترتبت على هذه المجاعة، ولذا سيكون الحديث على النحو التالي:

أولًا: تاريخ عام الرمادة:

قبل أن يتخذ عمر بن الخطاب ﷺ التقويم الهجري، كان الناس يعرفون الأعوام بالأحداث الجسام التي تحدث فيها كعام الفيل للسنة التي ولد فيها النبيﷺ، وعام الحزن للسنة التي ماتت فيها خديجة ﷺومات فيها أبو طالب، وعام الوفود وهو العام الذي وفدت فيه الوفود على رسول اللهﷺ في المدينة، وكذا عام الرمادة، وهو العام الذي حدثت فيه مجاعة شديدة في عهد عمر بن الخطابﷺ، وقد أجمع الكثير من المؤرخين أن المجاعة حدثت في العام الثامن عشر من الهجرة، يقول ابن سعد[١] في الطبقات: «لَمَّا صَدَرَ النَّاسُ عَنِ الْحَجِّ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ، أَصَابَ النَّاسَ جَهْدٌ شَدِيدٌ، وَأَجْدَبَتِ الْبِلَادُ، وَهَلَكَتِ الْمَاشِيَةُ، وَجَاعَ النَّاسُ وَهَلَكُوا».[٢]

ثانيًا: سبب التسمية بعام الرمادة:

---

(١) هو محمد بن سعد بن منيع الهاشمي أبو عبد الله البصري، المعروف بابن سعد، ولد بالبصرة سنة ١٦٨هـ، وتوفي سنة٢٣٠ هـ، وله مؤلفات كثيرة منها الطبقات الكبرى (ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ١، صـ ١٧وما بعدها، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٦٨م، ت: إحسان عباس)

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، جـ ٣، صـ٣١٠، ، ويراجع: تاريخ الطبري، أبو جعفر الطبري، جـ ٤، صـ ٩٦، دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٨٧هـ، الكامل في التاريخ، ابن الأثير، جـ٢، صـ ٣٧٤، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

ذكر المؤرخون وكتاب السير أسبابا كثيرة في تسمية هذا العام بعام الرمادة، يمكن ذكر أهمها فيما يلي:

١ - انحباس المطر عن الأرض مما أدى إلى تحول الأرض الزراعية في المدينة وما حولها إلى أرض جدباء ليس فيها إلا الأتربة الناعمة، يؤكد ذلك ابن كثير[١] فيقول: "كانت الريح تسفي ترابا كالرماد لشدة الجدب."[٢]

٢ - بعض المؤرخين أرجع السبب في التسمية إلى وصف الأرض حيث صارت الأرض في هذا العام سوداء قاتمة من قلة الخضرة: يقول ابن سعد: «سُمِيَّ ذَلِكَ الْعَامُ عَامُ الرَّمَادَةِ، لِأَنَّ الْأَرْضَ كُلَّهَا صَارَتْ سَوْدَاءَ فَشُبِّهَتْ بِالرَّمَادِ... »[٣].

٣ - كثرة من هلك من المسلمين في هذا العام، لأن أصل الرمد بمعنى الهلاك والقحط.[٤]

٤ - تغير لون البشرة من البياض إلى السواد عند الكثير ممن عاصر الأزمة وذلك من الجوع وقلة الغذاء، ومنهم الخليفة نفسه ﷺ.[٥]

٥ - احتراق الزروع والنباتات في هذا العام من شدة الحرارة، وانحباس المطر فأصبحت الزروع

---

(١) الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه. ولد في الشام سنة ٧٠١هـ، ورحل في طلب العلم، من كتبه: البداية والنهاية، وتفسير القرآن العظيم وتوفي سنة: ٧٧٤هـ (ينظر: الأعلام، الزركلي، جـ١، ص٢٣٠).

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، جـ ٧، صـ ١٠٣، مرجع سابق.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد، جـ٣، صـ ٣١٠، مرجع سابق.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، جـ٣، صـ ١٨٦، مرجع سابق.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، جـ ٤، صـ ٤٨٤، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ، ت: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض.

محترقة تشبه الرماد. قال ابن منظور[١] في هذا الصدد: " قِيلَ: هُوَ لِجَدْبٍ تَتَابَعَ فَصَيَّرَ الأَرض وَالشَّجَرَ مِثْلَ لَوْنِ الرَّمَادِ".[٢]

٦ – العقوبة الإلهية من كثرة الذنوب والمعاصي، كسبب رئيس من أسباب محق البركة، وانعدام الخير، فقد ذكر بعض المؤرخين أن السبب في أزمة الرمادة هو سبب ديني وهو أن نفرا من المسلمين شربوا الخمر " فقد أرسل أبو عبيدة بن الجراح[٣] ﷺ إلى عمر بن الخطاب ﷺ يخبره أن نفرا من المسلمين أصابوا الشراب فأشار عليه أن يضرب أعناقهم إن قالوا أنه حلال، ويجلدهم ثمانين جلدة إن قالوا بأنه حرام فسألهم فقالوا: حرام، فجلدهم ثمانين ثمانين، فندموا على لجاجتهم، وقال: ليحدثن فيكم يا أهل الشام حادث، فحدثت الرمادة في هذه السنة".[٤]

٧ – تحرك طبقات الأرض السفلى ورميها بحمم بركانية على سطحها فاحترق سطحها؛ وكل ما عليه من نبات فصارت الأرض سوداء مجدبة كثيرة التراب، فإذا تحركت الريح سفت رمادا.[٥]

---

(١) محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري، صاحب لسان العرب، ولد بمصر سنة: ٦٣٠ هـ وقيل: في طرابلس الغرب وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة. ثم ولي القضاء في طرابلس. وعاد إلى مصر فتوفي فيها سنة: ٧١١هـ، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد (ينظر الأعلام، الزركلي، جـ٧، صـ١٠٨) .

(٢) لسان العرب، ابن منظور، جـ٣، صـ١٨٦، مرجع سابق.

(٣) أبو عبيدة بن الجراح: قيل اسمه عامر بن الجراح وقيل: عبد الله بن عامر بْن الجراح. وَهُوَ أحد العشرة الَّذِينَ شهد لهم رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة، وَكَانَ من كبار الصحابة وفضلائهم، وأهل السابقة منهم رضوان الله عليهم توفي في عمواس سنة ثمان عشرة بالأردن من الشام (الاستيعاب في معرفة الأصحاب، القرطبي، جـ٤، صـ١٧١٠، دار الجيل، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م) .

(٤) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، الطبري، جـ٢، صـ٢٤٩، مرجع سابق.

(٥) الفاروق عمر، محمد حسن هيكل، صـ٢٧٧، مؤسسة هنداوي: ٢٠١٤م.

٨ – عدم قدرة التجار على احتكار السلع لسياسة عمر ﷺ الإدارية وعدم سماحه ﷺ للتجار باحتكارها، وقد يرجع هذا أيضًا إلى حياة التكافل الاجتماعي للمجتمع المدني في تلك الفترة، فلم يكن الغرض الأساسي الربح بقدر ما كان الهدف توفير احتياجات الناس.(١)

٩ – هناك سبب أخير زاد من خطورة الأزمة ألا وهو تزامن هذه المجاعة مع طاعون عِمواس(٢) الذي اجتاح بلاد الشام، فقد حدث هذا الطاعون في نفس سنة المجاعة.(٣)

من خلال ما سبق من كلام المؤرخين قديما وحديثا يمكن القول بأن عام الرمادة هو عام حدث فيه جدب وقحط شديد تناول المؤرخون أسبابه بوجهات نظر مختلفة، فمنهم من أرجع سبب التسمية إلى احتباس المطر أو بالأثر المترتب عليه، وبعضهم أرجعه إلى أسباب دينية كالذنوب والمعاصي كسبب من أسباب محق البركة.

ثالثًا: الآثار الناجمة عن عام الرمادة/

---

(١) الاستراتيجية الاتصالية لعمر بن الخطاب في إدارة الأزمات نموذج عام الرمادة، عريبي عبدالحميد، صـ ٢٢١ رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الدكتور/ الطاهر مولاي أبو سعيدة، السنة: ٢٠١٥م/ ٢٠١٦م.

(٢) عِمْواس هي ضيعة جليلة على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس، ومنها كان ابتداء الطاعون في أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، ثم فشا في أرض الشام وهي تبعد عن القدس حوالي ثلاثين كيلو متر، وقد بقيت حتى سنة ١٩٦٧ م بيد العرب، وفي سنة ١٩٦٧ م، هدم الأعداء بيوتها وأجلوا سكانها، ولم يبق للقرية أثر ولا عين. (ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، جـ٤، صـ ١٥٧، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية: ١٩٩٥. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، محمد بن محمد حسن شراب، صـ ٢٠٢، دار القلم، دمشق، بيروت الطبعة الأولى: ١٤١١ هـ) .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط، جـ ١، صـ ١٣٨، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٩٧، ت: أكرم ضياء العمري.

هناك آثار عديدة ترتبت على هذه المجاعة، يمكن ذكر أهمها فيما يلي:

١ - نزوح الكثير من الأعراب إلى المدينة المنورة طلبا للغوث والنجدة من هذا الهلاك المحقق، فقد " كان أهل المدينة أحسن من غيرهم حالا أول العهد بالمجاعة، فالمدينة حضر أدخر أهلها حين الرخاء ما اعتاد أهل الحضر ادخاره، فلما بدأ الجدب جعلوا يخرجون ما ادخروا يعيشون منه، أما أهل البادية فلم يكن لهم مدخر فاشتد بهم الكرب من أول الأمر، ثم إنهم هرعوا إلى المدينة يجأرون إلى أمير المؤمنين ﷺبالشكوى، ويلتمسون لدى أهلها فتاتا يقيمهم، وازداد هؤلاء اللاجئون عددا فضاقت بهم المدينة، واشتد أهلها بالبلاء، فصاروا في مثل حال أهل البادية جدبا وجوعا".[(١)] ولقد بلغت المجاعة والشدة حدا بعيدا" جعلت الوحوش تأوي إلى الإنس، وكان الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها، وإنه لمعسر"[(٢)].

٢ - انخفاض القيمة الشرائية للعملة حيث وجدت الأموال وانعدمت السلع، وأصبحت الأموال في أيدي أصحابها لا قيمة لها؛ إذ لا يجدون بها ما يسد رمقهم، لذا ارتفعت الأسعار بدرجة

---

(١) الفاروق عمر، محمد حسين هيكل، صـ ٢٧٨، مرجع سابق. ويراجع: الاستراتيجية الاتصالية لعمر بن الخطاب في إدارة الأزمات نموذج عام الرمادة، صـ ٢٠٨، مرجع سابق.

(٢) ينظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، جـ ٤، صـ ٢٥٠، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، ت: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا. ويراجع: دور القيادة في إدارة الأزمة، سلوى حامد الملا، صـ ١٥١، الإغاثة الإسلامية، د. سعد الدين عبد الحي، صـ ٥ ورقة بحث منشورة على شبكة الانترنت، المقاصد الشرعية لفقه الأزمات صـ ١١، د. أحمد محمود أحمد محمود أبو حسوبة، صـ ١٢ـ ١٣، بحث منشور على شبكة الإنترنت.

كبيرة، ومما يدل على ذلك أن السمن لقلته صار يباع بالأواقي.[١]

٣ – من المعلوم أن الإبل والماشية كانت هي عماد الحياة الاقتصادية في هذا العصر، وكان من آثار هذه المجاعة المدمرة: ضعف الانتاج الحيواني، فضعفت الماشية وهلكت الأغنام، وأصبح الباقي منها هزيلا تعافه النفس.[٢]

٤ – ازدياد عدد الوفيات وهذا هو الوضع الطبيعي في أزمنة المجاعات وندرة الطعام والشراب؛ حيث يؤدي ذلك إلى التدهور الصحي، على أنه لا توجد إحصائيات دقيقة يعول عليها في وفيات عام الرّمادة، وإنما أشار المؤرخون إلى تعميمات غير دقيقة كقولهم: "هلك كثير من الناس"[٣]، كما يذكر المؤرخون أن عدد القبور كثرت في البقيع[٤] بعد عام الرمادة حتى أن طلحة بن عبيد الله[٥] كان "إذا سئل عن القبور المجتمعة بأُحد يقول: قوم من الأعراب كانوا زمن الرّمادة في عهد عمر بن

---

(١) الصكوك والأرزاق الشهرية (إحدى السياسات المقترحة لعلاج الأزمات الاقتصادية في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب)، د. سليم مفتاح عبد العزيز، صـ ٥، بحث منشور على شبكة الانترنت، تاريخ النشر: ٣٠/ ٤/ ٢٠١٩م، الطبقات الكبرى، ابن سعد جـ ٣، صـ٣١٣، مرجع سابق. والأوقية تساوي: ٢٠٠جرام.

(٢) يراجع: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، جـ ٤، صـ ٢٥٠، مرجع سابق.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، جـ ٧، صـ ١٠٤٧، مرجع سابق .

(٤) البقيع هو مقبرة أهل المدينة، وهي داخل المدينة وقد ورد ذكرها في الأحاديث (ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، جـ١، صـ ٤٧٣) .

(٥) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب أبو محمد، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر، وأحد الستة أصحاب الشورى. (الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، جـ٢، صـ ٣٤٠) .

الخطاب ﷺ، فماتوا فتلك قبورهم".[١]

٣ – ومما أدى إلى تفاقم الأزمة وسرعة أحداثها قلة المساحات المزروعة في الجزيرة العربية وذلك لانشغال المسلمين بحركة الجهاد والفتوحات الإسلامية في العراق والشام ومصر الأمر الذي تسبب – بلا شك – في قلة الاهتمام بالزراعة ومصادر الماء والرعي، أضف إلى ذلك أن الخليفة عمر ﷺ كان قد أقر اليهود في بلاد العرب صدرا من إمارته ثم أمرهم بالجلاء عن خيبر[٢] ومن هنا فلا يستبعد أن يكون إخراج عمر ﷺ لليهود من خيبر قد تسبب في نقص شديد من إنتاج خيبر وما جاورها من مناطق زراعية، خاصة إذا تذكرنا أن المسلمين كانوا خلال هذه الفترة أكثر انشغالا بالجهاد وحركة الفتح الإسلامي من ذي قبل.[٣]

وخلاصة ما سبق: إن هناك آثارا سلبية كثيرة نتجت عن انقطاع المطر في عام الرمادة، فقد هلكت الزروع والثمار، وهلك الكثير من الناس، وتعرضت الثروة الحيوانية التي هي عماد الحياة القبلية إلى الهلاك، وبات الأمر ملحا لوجود تدابير شرعية تمُكِّن من الخروج من هذه الأزمة العارمة، وهو ما فعله الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ، وهو ما يتضح على صفحات البحث من خلال المبحثين القادمين.

---

(١) ينظر: المغازي، الواقدي، جـ١، صـ ٣١٢، دار الأعلمي، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، جـ ٢، صـ ٣٥٧، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية: ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، ت: مصطفى السقا وآخرون. وخيبر: اسم ولاية مشتملة على حصون ومزارع ونخل كثير، والخيبر بلسان اليهود: الحصن، ولذلك سميت بخيابر أيضا، لكثرة حصونها. (ينظر: وفاء الوفى بأخبار دار المصطفى، أبو الحسن السمهودي، جـ٤، صـ ٧٤، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: ١٤١٩) .

(٣) ينظر: معالجة الخليفة عمر بن الخطاب لمشكلة المجاعة عام الرمادة، د. صلاح التيجاني حمودة، صـ ٨٧، مجلة جامعة الملك عبد العزيز: ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

المبحث الأول: التدابير المادية للخروج من الأزمات الاقتصادية اقتباسا من عام الرمادة

يتناول هذا المبحث: مجموعة التدابير المادية التي قام بها عمر بن الخطاب ﷺ للخروج من أزمة المجاعة عام الرمادة، والمقصود بالتدابير المادية: مجموعة الأمور المادية التي قام بها عمر ﷺ بن الخطاب، التي أثبت من خلالها ضرورة الأخذ بأسباب الخروج من الأزمة، ويأتي في مقدمة هذه التدابير: التكافل والتعاون بين أفراد الأمة، والأخذ بأسباب التخفيف ورفع الحرج عن الرعية ليستطيعوا تجاوز الأزمة، والدعوة إلى ترشيد الاستهلاك، ولذا بات من الضروري أن ينسلك هذا المبحث تحت المطالب الآتية:

المطلب الأول: التكافل والتعاون.

المطلب الثاني: رفع الحرج والتخفيف حالة الأزمات.

المطلب الثالث: ترشيد الاستهلاك.

المطلب الأول: التكافل والتعاون

كان من أهم التدابير التي قام بها عمر بن الخطاب ﷺ للخروج من أزمة عام الرمادة: العمل على استحضار نصوص الشريعة التي تحث على التكافل والتراحم بين أفراد الأمة الواحدة وتطبيقها عمليا على أرض الواقع، فمن أهم ما دعا إليه القرآن الكريم: الإطعام في زمن المجاعات والأزمات، قال تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ ﴿البلد: ١١ – ١٣﴾، والناظر في الآية يجدها تدل على أن: "التمكن من حمل النفس على طاعة الله ﷻ يتمثل في فك الرقاب، وفي إطعام المحتاجين في يوم يشتد فيه جوعهم".[(١)]

ومن أهم ما دعت إليه السنة النبوية المشرفة كذلك: الجود بما فَضُل عن الحاجة من خلال قول النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ»[(٢)]، ومن ذلك كذلك قول النبي ﷺ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"[(٣)] والمقصود بالتكافل والتعاون الذي أرادته الشريعة الإسلامية: "أن يكون أحاد الشعب في كفالة جماعتهم، وأن يكون كل قادر أو ذي سلطان كفيلا في مجتمعه يمده بالخير، وأن تكون كل القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الآحاد، ودفع الأضرار عنهم، ثم في

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، جـ١٥، صـ ٤٠٤، دار نهضة مصر، الطبعة الأولى: ١٩٩٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب استحباب المواساة، جـ ٣، صـ ١٣٥٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ت: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، جـ ٤، صـ ١٩٩.

المحافظة على دفع الأضرار عن البناء الاجتماعي وإقامته على أسس سليمة"[١] و هذا الأمر إن كان الإسلام قد شرعه في الظروف العادية على وجه الاستحباب، فإنه قد أمر به على سبيل الوجوب في الأزمات والمجاعات، قال القرطبي: وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ إِذَا نَزَلَتْ بِالْمُسْلِمِينَ حَاجَةٌ بَعْدَ أَدَاءِ الزَّكَاةِ فَإِنَّهُ يَجِبُ صَرْفُ الْمَالِ إِلَيْهَا،[٢] وقال النبي ﷺ داعيا إلى التكافل ببيان محبته لأصحاب هذا الخلق: " إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»[٣].

ولقد سلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه مسلك الشريعة الإسلامية في العمل بفضيلة التكافل بين أفراد الأمة وذلك من خلال عدة محاور، تتضح فيما يلي:

أولاً: الانفاق من بيت المال:

فكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه في إشباع الناس وإطعامهم والإنفاق عليهم من بيت المال ومما جادت به نفوس أهل المدينة من الخير، ولم يلجأ في بداية الأمر إلى الاستعانة بغير أهل المدينة حتى نفد ما تحت يديه من مال وطعام، وهذا ما يؤكده الحافظ بن كثير عند حديثه عن عام الرمادة، حيث يقول: " وقد أجدبت النَّاسُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بِأَرْضِ الْحِجَازِ، وَجَفَلَتِ الْأَحْيَاءُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَ أَحَدٍ منهم زاد فلجأوا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَنْفَقَ فِيهِمْ مِنْ حَوَاصِلِ بَيْتِ الْمَالِ مِمَّا فِيهِ مِن

---

(١) التكافل الاجتماعي في الإسلام، محمد أبو زهرة، صـ ٧ دار الفكر العربي: ١٩٩١م

(٢) الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، جـ٢، صـ ٢٤٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية: ١٣٨٤ هـ/ ١٩٩٤م، ت: أحمد البردويني، إبراهيم أطفيش.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض، جـ ٣، صـ ١٣٧، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى: ١٤٢٢ هـ، ت: محمد زهير بن ناصر.

الْأَطْعِمَةِ وَالْأَمْوَالِ حَتَّى أَنْفَدَهُ"[١].

ولعل السبب في نفاد ما تحت يديّ عمر ﷺ أن الأعداد المتوافدة على المدينة بلغت حدا في الكثرة، ويتضح ذلك من خلال هذه الرواية " لَمَّا كَانَ عَامُ الرَّمَادَةِ تَجَلَّبَتِ الْعَرَبُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ فَقَدِمُوا الْمَدِينَةَ، فَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَدْ أَمَرَ رِجَالًا يَقُومُونَ عَلَيْهِمْ وَيَقْسِمُونَ عَلَيْهِمْ أَطْعِمَتَهُمْ وَإِدَامَهُمْ، فَكَانَ يَزِيدُ بنُ أُخْتِ النَّمِرِ[٢]، وَكَانَ الْمِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ[٣]، وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ الْقَارِيِّ[٤]، وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ[٥]، فَكَانُوا إِذَا أَمْسَوُا اجْتَمَعُوا عِنْدَ عُمَرَ فَيُخْبِرُونَهُ بِكُلِّ مَا كَانُوا فِيهِ، وَكَانَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ عَلَى نَاحِيَةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ الْأَعْرَابُ حُلُولًا فِيمَا بَيْنَ رَأْسِ الثَّنِيَّةِ إِلَى رَاتِجٍ إِلَى بَنِي حَارِثَةَ إِلَى بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ إِلَى الْبَقِيعِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، وَمِنْهُمْ طَائِفَةٌ بِنَاحِيَةِ بَنِي

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، جـ ٧، صـ ١٠٣، مرجع سابق.

(٢) هو عبد الله بن السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة بن الأسود توفي سنة ست وعشرين ومائة في خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك (ينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، جـ ١، صـ ٢٧٣) .

(٣) هو المسور بْن مخرمة بْن نوفل بْن أهيب بْن عبد مناف ولد بمكة بعد الهجرة بسنتين، وَكَانَ فقيها من أهل العلم والدين، ولم يزل مع خاله عبد الرحمن فِي أمر الشورى، وأقام بالمدينة إِلَى أن قتل عثمان، ثُمَّ سار إِلَى مكة فلم يزل بها حتى مات (ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، جـ ٥، صـ ١٧٠، دار الفكر بيروت: ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٩) .

(٤) عبد الرحمن بن عبد القارئ ولد عَلَى عهد رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليس لَهُ مِنْهُ سماع، ولا لَهُ مِنْهُ رواية. كَانَ مَعَ عَبْد الله بْن الأرقم عَلَى بيت المال، فِي خلافة عُمَر بْن الخطاب ﷺ. (أسد الغابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، جـ ٣، صـ ٤٦٦) .

(٥) عَبْدُ اللهِ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الْهُذَلِيّ، كنيته أَبُو عبد الرحمن يعد فِي أهل الْمَدِينَة قبل وَفَاة النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَقيل إِنَّه كَانَ يؤم النَّاس بِالْكُوفَةِ مَاتَ سنة أَربع وَتِسْعين فِي ولَايَة بشر بن مَرْوَان على الْعرَاق (رجال صحيح مسلم، ابن منجويه، جـ ١، صـ ٢٨٠ دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٧ هـ) .

سَلِمَةَ هُمْ مُحْدِقُونَ بِالْمَدِينَةِ، - يقول الراوي - فَسَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ لَيْلَةً وَقَدْ تَعَشَّى النَّاسُ عِنْدَهُ: «أَحْصُوا مَنْ تَعَشَّى عِنْدَنَا»، فَأَحْصَوْهُمْ مِنَ الْقَابِلَةِ فَوَجَدُوهُمْ سَبْعَةَ آلَافِ رَجُلٍ، وَقَالَ: «أَحْصُوا الْعِيَالَاتِ الَّذِينَ لَا يَأْتُونَ، وَالْمَرْضَى، وَالصِّبْيَانَ»، فَأَحْصَوْا فَوَجَدُوهُمْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا، ثُمَّ مَكَثْنَا لَيَالِيَ فَزَادَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِهِمْ فَأَحْصَوْا فَوَجَدُوا مَنْ تَعَشَّى عِنْدَهُ عَشَرَةَ آلَافٍ وَالْآخِرِينَ خَمْسِينَ أَلْفًا"[(١)].

يتضح من خلال هذه الرواية عدة أمور مهمة قام بها الفاروق ﷺ في هذه الأزمة لمحاولة تخطيها، وهي:

١. أعلن الفاروق ﷺ حالة الطوارئ وطبق في ذلك فقه العمل في الأزمات، فبعد ارتفاع الأسعار وانتشار الجوع هرع الناس إلى عاصمة الخلافة، وزاد عدد اللاجئين إلى المدينة عن ستين ألفا، وعندما جاء الناس من كل ناحية، أمر عمر ﷺ رجالا يقومون بمصالحهم في إطار تقسيم أدوار ووظائف العمل على العاملين، بحيث يكون كل موظف عالما بالعمل الذي كلفه به دون قصير فيه، ولا يتجاوز عملا آخر مسند إلى غيره. وقد عين أمراء على نواحي المدينة لتفقد أحوال الناس الذين اجتمعوا حولها طلبا للرزق لشدة ما أصابهم من القحط والجوع فكانوا يشرفون على تقسيم الطعام والإدام على الناس، وإذا أمسوا اجتمعوا عند الخليفة عمر بن الخطاب فيخبرونه بكل ما كانوا فيه وهو يوجههم[(٢)]

٢. استدعت هذه الأعداد الطائلة التي وفدت على المدينة إنشاء مؤسسة خاصة بالإطعام وهي دار الدقيق "وهي من المؤسسات الاقتصادية التي كانت أيام عمر ﷺ، توزع على الوافدين على المدينة من كل غذاء أساس مخزون الدار، وقد توسعت دار الدقيق لتصبح قادرة على إطعام

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، جـ ٣، صـ ٣١٦ ـ ٣١٧، مرجع سابق.

(٢) إدارة ومعالجة الأزمات في الإسلام، سوسن سالم الشيخ، صـ ١٨٩، مرجع سابق.

عشرات الألوف من الذين وفدوا على المدينة مدة تسعة أشهر، وهذا يدل على عقلية عمر في تطوير مؤسسات الدولة سواء أكانت مالية أو غيرها"[١].

٣. وضع عمر بن الخطاب ﷺ نظاما يشبه نظام التموين الذي نعرفه وأقام على تنفيذه في المدينة رجالا، وكان يشرف عليهم بنفسه ويتلقى تقاريرهم يوما بيوم ويتابع إحصاءهم، وربما جمع أعدادا كبيرة من الناس على موائد يقيمها لهم فيعشيهم عنده[٢]

٤. تثبت الرواية أن عمرﷺ قام بتسكين النازحين إلى المدينة في معسكرات ومناطق تجمعهم، ومما يدل على ذلك ما جاء في الرواية: "وَكَانَ الْأَعْرَابُ حُلُولًا فِيمَا بَيْنَ رَأْسِ الثَّنِيَّةِ إِلَى رَاتِجٍ إِلَى بَنِي حَارِثَةَ إِلَى بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ إِلَى الْبَقِيعِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، وَمِنْهُمْ طَائِفَةٌ بِنَاحِيَةِ بَنِي سَلِمَةَ هُمْ مُحْدِقُونَ بِالْمَدِينَةِ" وستثبت الروايات الأخرى التي تعرض لها البحث في مواطن أخرى: أن عمرﷺ كان يتابع هذه المعسكرات بنفسه ويخدمها بيده.

٥. أثبتت الرواية أن عمر ﷺ كان يقوم بعمل الإحصاءات الدقيقة للأعداد المتوافدة على المدينة في داخلها وعلى أطرافها، وهي خطوة رئيسة لمعرفة أهم الاحتياجات والضروريات حتى يتسنى له معالجة الأزمة، كما تثبت الرواية أن مسألة الإحصاء لم تكن مرة واحدة بل كانت مرات متكررة.

وهكذا "اتبع عمرﷺ سياسة تكافلية في توزيع المغانم والمغارم وتدوير المواد بحيث تكفي الجميع ضمن سياسة كلية، لا تتعلق فقط بالأفراد حينما أمر الأغنياء بأن يخرجوا ما عندهم من غذاء

---

(١) دور القيادة، في إدارة الأزمة، سلوى حامد الملا، صـ١٩٠، مرجع سابق .

(٢) نظرات في فقه الفاروق عمر بن الخطاب، محمد محمد المدني، صـ١٨٩، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، : ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

ليمدوا الموائد في الطرقات، فيفيض الغني بما عنده على كل فقير ومضار في عام الرمادة".[١]

وبهذا نرى أن عمر ﷺ قد واجه هذه الأزمة منذ بدايتها ببيت المال وبالتكافل والتعاون بين أغنياء المدينة وفقرائها، وهو بذلك يعتبر أول من سن مسألة التوظيف المالي وهو: "جواز فرض نصيب من المال على الأغنياء وقت الضرورة والأزمات ولكن بشروط مخصوصة هي: أن تكون الأمة في جائحة، وأن يكون بيت المال فارغًا، وأن يوظف على الأغنياء دون الفقراء، وأن يكون التوظيف على قدر الحاجة .وأن تتوقف هذه السياسة فور انتهاء الأزمة المالية، وألا يكون في أموال الدولة ما يوضع في نفقات غير لازمة أو غير مشروعة، وأن يستشار أهل الحل والعقد من الأمة."[٢]

ثانيًا: الاستعانة بالأمصار:

بعد أن توافدت الأعداد الغفيرة على المدينة في زمن الرمادة، وكاد أن ينفد ما تحت يدي عمر ﷺ من الطعام والشراب، بدأ الفاروق ﷺ يفكر في الأمصار المفتوحة حديثا، والتي لم تطلها المجاعة، فبدأ بوضع خطة محكمة تضمنت طلب المساعدات من الولاة، كما تضمنت كيفية التعامل معها عند وصولها إلى مناطق المجاعة، وبيان ذلك على النحو التالي:

١. **طلب المساعدات من الأمصار:**

كان أول بلد فكر فيه عمر ﷺ هي مصر الغالية التي كانت تحت يدي فاتحها عمرو بن العاص[٣] ﷺ فبعث إليه برسالة يطلب منه العون والمدد ونص هذه الرسالة يقول: " بِسْمِ اللهِ

---

(١) دور القيادة في إدارة الأزمة، سلوى حامد الملا، صـ ١٨٤، مرجع سابق.

(٢) يراجع: المقاصد الشرعية لفقه الأزمات في الشريعة الإسلامية، د. أحمد محمود أحمد محمود أبو حسوبة، صـ ١٢، ١٣، مرجع سابق.

(٣) هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم أبو عبد الله، ، القرشيّ، السّهميّ صاحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أسلم طوعًا في الهدنة، وهاجر، واستعمله النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جيش ذات السّلاسل، وفيه =

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ عَبْدِ اللهِ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عمرو بن الْعَاصِ، سَلَامٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ، أَفَتَرَانِي هَالِكًا وَمَنْ قِبَلِي وَتَعِيشُ أَنْتَ وَمَنْ قِبَلَكَ؟ فَيَا غَوْثَاهُ، ثَلَاثًا فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، لِعَبْدِ اللهِ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، سَلَامٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ، أَتَاكَ الْغَوْثُ، فَلَبِّثْ[1] لَبِّثْ، لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكَ بِعِيرٍ أَوَّلُهَا عِنْدَكَ وَآخِرُهَا عِنْدِي[2]

كما كتب عمر ﷺ إلى أبي موسى الأشعري[3] ﷺ بالبصرة أن يا غوثاه لأمة محمد ﷺ، فقد ذكر بن كثير في البداية والنهاية: أَنَّ عُمَرَ ﷺ عَسَّ فِي الْمَدِينَةَ ذات ليلة عَامِ الرَّمَادَةِ فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا يَضْحَكُ، وَلَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ فِي مَنَازِلِهِمْ عَلَى الْعَادَةِ، وَلَمْ ير سَائِلًا يَسْأَلُ، فَسَأَلَ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ السُّؤَّالَ سَأَلُوا فَلَمْ يُعْطَوْا فَقَطَعُوا السُّؤَالَ، وَالنَّاسُ فِي همٍّ وَضِيقٍ فَهُمْ لَا يَتَحَدَّثُونَ وَلَا يَضْحَكُونَ. فَكَتَبَ عمر إلى أبي موسى الأشعري بِالْبَصْرَةِ أَنْ يَا غَوْثَاهُ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ.[4]

أبو بكر وعمر، وبعثه إلى عمان، وأمّره عمر في فتوح الشّام ثم ولاّه مصر (مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر، جـ١٩، صـ٢٢٣، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى: ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٤م، ت: روحية النحاس وآخرون) .

(١) معنى لَبِّث: انتظر وتمهل: (المعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين، جـ٢، صـ٨١٢) .

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، جـ٣، صـ٣١٠، مرجع سابق.

(٣) هو عبد الله بن قيس بن سليم، أبو موسى، من بني الأشعر، من قحطان: صحابي من الشجعان الولاة الفاتحين، قدم مكة عند ظهور الإسلام، فأسلم، وهاجر إلى أرض الحبشة. ثم استعمله رسول الله ﷺ على زبيد وعدن. وولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة ١٧ هـ وكان أحسن الصحابة صوتا في التلاوة (ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، القرطبي، جـ٤، صـ١٧٦٢) .

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير، جـ٧، ١٠٣، مرجع سابق

كما كتب عمر ﷺ إلى معاوية بن أبي سفيان[١] ﷺ في الشام يقول: وَاغَوْثَاهُ، هَلَكَتِ الْعَرَبُ. فَكَتَبَ معاوية: لَبَّيْتُ لَبَّيْتُ لَبَّيْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَتَاكَ الْغَوْثُ، بَعَثْتُ إِلَيْكَ عِيرًا أَوَّلُهَا بِالْمَدِينَةِ وَآخِرُهَا بِالشَّامِ[٢] ...

كما كتب عمر ﷺ رسالة إلى سعد بن أبي وقاص ﷺ[٣] والي الكوفة، ورسالة إلى أبي عبيدة بن الجراح ﷺ والي حمص[٤] وهكذا كتب عمر ﷺ إلى الأمصار التي لم يطلها انحباس المطر ليؤكد أن الأمة الإسلامية جسد واحد وأن هلاك البعض هلاك للكل.

٢. وصول المدد من الأمصار:

كانت الاستجابة لنداءات عمر ﷺ سريعة وكبيرة في نفس الوقت، وكان أول من وصلت

---

(١) هو معاوية بن أبي سفيان واسم أَبِي سُفْيَان صَخْر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بْن عبد مناف، وأمه هند بِنْت عُتْبَة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، يكنى أَبَا عَبْد الرَّحْمَنِ، كَانَ هُوَ وأبوه وأخوه من مسلمة الْفَتْح. وقد رَوَى عَنْ مُعَاوِيَة أَنَّهُ قَالَ: أسلمت يَوْم القضية وهو أحد عظماء الفاتحين في الإسلام ومؤسس الدولة الأموية . (ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، القرطبي، جـ٣، ١٤١٦) .

(٢) تاريخ المدينة، ابن شبة، جـ٢، صـ٧٤٣، ١٣٩٩هـ، بدون، ت: فهيم محمد شلتوت.

(٣) سعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص مالك بن أهيب، يكنى أبا إسحاق، كان سابع سبعة في الإسلام أسلم بعد ستة وهو ابن ١٧ سنة، وشهد بدار، وافتتح القادسية، ونزل أرض الكوفة فجعلها خططا لقبائل العرب. وظل واليا عليها مدة عمر بن الخطاب. وأقره عثمان زمنا، ثم عزله. فعاد إلى المدينة، فأقام قليلا حتى مات. (ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن حجر، جـ٢، صـ٦٠٦ وما بعدها) .

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد، جـ٣، صـ٣١٥، مرجع سابق.

مساعداته إلى عمر رضي الله عنه هو سيدنا أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، يقول الطبري[١]: "كَانَ أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْ عمر رضي الله عنه أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ رضي الله عنه فِي أَرْبَعَةِ آلافِ رَاحِلَةٍ مِنْ طَعَامٍ، فَوَلاهُ قِسْمَتَهَا فِيمَنْ حَوْلَ الْمَدِينَةِ."[٢]

كما كان أكثر المساعدات وأكبرها حجما ما أرسله عمر بن العاص رضي الله عنه من مصر، وذلك لأن عمرو رضي الله عنه حمل المساعدات لعمر رضي الله عنه برا وبحرا، تلبية لنداء عمر رضي الله عنه، فقد «كَتَبَ عُمَرُ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَبْعَثُ بِالطَّعَامِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، فبَعَثَ إِلَيْهِ فِي الْبَحْرِ بِعِشْرِينَ سَفِينَةً تَحْمِلُ الدَّقِيقَ وَالْوَدَكَ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ فِي الْبَرِّ بِأَلْفِ بَعِيرٍ تَحْمِلُ الدَّقِيقَ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ بِثَلَاثَةِ آلَافِ بَعِيرٍ تَحْمِلُ الدَّقِيقَ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِثَلَاثَةِ آلَافِ عَبَاءَةٍ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بِخَمْسَةِ آلَافِ كِسَاءٍ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ وَالِي الْكُوفَةِ بِأَلْفَيْ بَعِيرٍ تَحْمِلُ الدَّقِيقَ»[٣] كانت هذه هي معظم المساعدات التي وصلت من الأمصار المفتوحة، بقي أن يتناول البحث عبقرية عمر رضي الله عنه في توزيع هذه المساعدات، وذلك في الجزئية القادمة.

٣. توزيع المساعدات:

تعددت الروايات التي تدل على عبقرية عمر رضي الله عنه في توزيع هذه المساعدات سواء أكانت هذه المساعدات قد وصلت إلى المدينة أم وصلت إلى الأعراب في أماكن تواجدهم، فقد أوصى عمر رضي الله عنه أحد عماله أن يعترض بعض القوافل ليقوم بتوزيعها قبل أن تصل إلى المدينة فقال له: " أَمَّا مَا

---

(١) هو أحمد بن الحسين بن علي، أبو حامد المروزي المعروف بالطبري: قاض، من حفاظ الحديث، من أهل طبرستان، عارف بالتأريخ. تفقه ببغداد وبلخ، وتولى قضاء القضاة بخراسان، وأقام ببخارى فمات بها عن سن عالية. له كتاب: التاريخ وصف بأنه بديع (الأعلام، الزركلي، جـ١، صـ ١١٥) .

(٢) تاريخ الرسل والملوك، الإمام الطبري، جـ ٤، صـ ١٠٤، مرجع سابق.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد، جـ ٣، صـ ٣١٥، مرجع سابق.

لَقِيتَ مِنَ الطَّعَامِ فَمِلْ بِهِ إِلَى أَهْلِ الْبَادِيَةِ، فَأَمَّا الظُّرُوفُ[١] فَاجْعَلْهَا لُحُفًا يَلْبَسُونَهَا، وَأَمَّا الْإِبِلُ فَانْحَرْهَا لَهُمْ يَأْكُلُونَ مِنْ لُحُومِهَا وَيَحْمِلُونَ مِنْ وَدَكِهَا، وَلَا تَنْتَظِرْ أَنْ يَقُولُوا: نَنْتَظِرُ بِهَا الْحَيَا، وَأَمَّا الدَّقِيقُ فَيَصْطَنِعُونَ وَيُحْرِزُونَ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ لَهُمْ بِالْفَرَجِ، "[٢] ومما يدل على عبقرية عمر رضي الله عنه في توزيع المساعدات كذلك أنه كان يوزعها على الجهات التي أرسلت من قِبَلها فحينما «كَتَبَ عُمَرُ رضي الله عنه إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنِ ابْعَثْ إِلَيْنَا بِالطَّعَامِ عَلَى الْإِبِلِ، وَابْعَثْ فِي الْبَحْرِ، فَبَعَثَ عَمْرٌو عَلَى الْإِبِلِ، فَلُقِيتُ الْإِبِلُ بِأَفْوَاهِ الشَّامِ فَعَدَلَ بِهَا رُسُلُهُ يَمِينًا وَشِمَالًا يَنْحَرُونَ الْجُزُرَ وَيُطْعِمُونَ الدَّقِيقَ وَيُكْسِونَ الْعَبَاءَ، وَبَعَثَ رَجُلًا إِلَى الطَّعَامِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ عَمْرٌو مِنْ مِصْرَ فِي الْبَحْرِ فَحُمِلَ إِلَى أَهْلِ تِهَامَةَ يُطْعَمُونَهُ»[٣] والمتأمل للرواية يجد أن عمر رضي الله عنه أمر بالمساعدات التي تأتي من جهة البر أن توزع على الأعراب من جهة الشام، أما الآتية من جهة البحر فقد أمر بتوزيعها على أهل تهامة. ومثل هذا الصنيع فعله مع المساعدات الآتية من قِبَل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، ومن قبل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كذلك، حيث: «بَعَثَ إلى معاوية مَنْ يَتَلَقَّاهُ بِأَفْوَاهِ الشَّامِ، يَصْنَعُ بِهِ كَالَّذِي يَصْنَعُ رُسُلُ عُمَرَ، وَيُطْعِمُونَ النَّاسَ الدَّقِيقَ وَيَنْحَرُونَ لَهُمُ الْجُزُرَ وَيُكْسُونَهُمُ الْعَبَاءَ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ مِنَ الْعِرَاقِ بِمِثْلِ ذَلِكَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَنْ لَقِيَهُ بِأَفْوَاهِ الْعِرَاقِ فَجَعَلُوا يَنْحَرُونَ الْجُزُرَ وَيُطْعِمُونَ الدَّقِيقَ وَيُكْسُونَهُمُ الْعَبَاءَ».[٤]

من خلال الروايات السابقة التي تحدثت عن طلب المساعدات، ووصولها وطريقة توزيعها

---

(١) الظروف جمع مفرده ظرف والظرف هو الوعاء الذي يوضع فيه الشيء (ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، جـ ٢، صـ ٣٨٤) .

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، جـ٣، صـ ٣١١، ٣١٢، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق، جـ ٣، صـ ٣١١.

(٤) نفس المرجع، جـ ٣، ٣١١.

يمكن استخلاص عدة نقاط، هي:

١. كتابة عمر ﷺ إلى الأمصار لطلب العون والمدد تدل على أن الأمة الإسلامية كيان واحد ينبغي أن يكون متكافلا ومتراحما، وإذا وقعت أزمة بأحد أطرافه فلا بد أن تنهض الأطراف الأخرى لنجدته ومساعدته، وبهذا " كان عمر بن الخطاب ﷺ كخليفة للمسلمين يملك نمط القيادة المتمكنة المركزية التي من نتائجها جعل الأمصار والإمارات بولاتها وعمالها تحت رقابة الخليفة ومحاسبتهم، فلم يكن عمر ﷺ يريد بتلك النداءات إلا أن يجعلها توجيها إنسانيا، ويؤكد النظر إلى الأمة ككيان واحد"[١] .

٢. في سرعة استجابة ولاة الأمصار لنداءات الإغاثة العمرية دليل على أهمية تكاتف الأمة الإسلامية وشعور الإقليم الغني فيها بالفقير ومساعدته، كما يتبين من خلالها أهمية وضرورة طاعة ولي الأمر.

٣. السياسة العمرية في كفالة البعيد من أهل القبائل والبادية مع أهل المدينة فيه دليل على أن الحلول لا بد أن تكون شاملة ولا تقتصر على منطقة دون أخرى، فقد" اهتم عمر بأهل القرى قبل أهالي المدن والعواصم، فكانوا يطعمون البعدين قبل القريبين، وتلك علامة الحكم الصالح حيث يطمئن الأبعدون إلى أن حقهم واصل إليهم قبل المتمركزين في المدن"[٢] .

٤. في اهتمام الفاروق عمر ﷺ بالقبائل في الصحراء "التفات لأولويات الأمن القومي، فالأطراف قبل المركز باعتبارها أكثر عرضة لعدم الاستقرار، وهكذا تستطيع القيادة أن تحتفظ بالوحدة الإقليمية للبلد وحمايته من التفكك والانفصال، في الوقت الذي نجد الدول الإفريقية

---

(١) دور القيادة في إدارة الأزمة، سلوى حامد الملا، صـ ١٨٥، مرجع سابق.

(٢) اشتراكية عمر، محمود شلبي، ٩٧، بيروت دار الجيل، الطبعة الثانية ١٩٧٤م.

تعرضت لحركات انفصال وانقسمت إلى دويلات ضعيفة بعد حروب أهلية نتيجة سوء الأوضاع الداخلية"[١].

نخلص مما سبق: إن من أهم التدابير المادية التي عوَّل عليها عمر ﷺ في أزمة عام الرمادة: العمل على التعاون والتكافل بين أفراد الأمة الإسلامية ودولها، وهذا مطلب ملح وضروري للخروج من الأزمات في كل عصر ومصر.

المطلب الثاني: التخفيف ورفع الحرج حالة الأزمات

من أهم التدابير المادية التي ينبغي أخذها في الاعتبار حالة الأزمات: محاولة التخفيف على الناس ورفع الحرج عنهم وعدم اللجوء إلى محاولة حل الأزمة بالإثقال على كاهلهم والتشديد عليهم، ولقد اعتمد عمر ﷺ هذه السياسة في إدارته للأزمة، واتضح من خلال إدارته للأزمة مدى فهمه للشريعة الإسلامية، ومعرفته بمقاصدها الشرعية .

فمن أهم ما يميز الشريعة الإسلامية أنها راعت أحوال الناس في الأزمات والحاجات، وشرعت أحكاما طارئة تتناسب مع حالة الضرورة والاضطرار قد تختلف عنها في الأحوال العادية، وذلك من أجل التخفيف والتيسير على المسلمين، والمتأمل في نصوص القرآن الكريم يجدها تسير في هذ المزمار وتؤصِّل له، قال تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا**

---

(١) دور القيادة في إدارة الأزمة، سلوى حامد الملا، صـ ٢٠٠، مرجع سابق. للمزيد من القراءة حول موضوع التكافل والتعاون في عام الرمادة ينظر المراجع التالية: الفاروق عمر، محمد حسين هيكل، صـ ٢٨٠ وما بعدها، سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، د. علي محمد الصلابي، صـ ٢١٣ وما بعدها، مؤسسة اقرأ، الطبعة الأولى: ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥م. أخبار عمر، علي طنطاوي، ١١٠ وما بعدها، عصر الخلافة الراشدة، د. أكرم ضياء العمري، صـ ٤٥ وما بعدها.

﴿تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: آية ٢٨٦]، وقال تعالى في شأن تشريع التيمم لرفع الحرج: ﴿مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: آية ٦]، وتحت مظلة هذه النصوص استخدم عمر ﷺبعض القواعد الشرعية من أجل التخفيف عن الرعية عام الرمادة من أجل المشقة التي أصابتهم، ومنها: "المشقة تجلب التيسير"(١)، "والضرورات تبيح المحظورات"(٢)، وفيما يلي بيان لأهم التدابير التي اتخذها عمر بن الخطاب ﷺمن أجل التخفيف، ورفع الحرج عن الرعية:

أولاً: تعليق العمل بحد السرقة:

الشريعة الإسلامية في طبيعتها غير متعطشة لإقامة الحدود، والدليل على ذلك أنها تدرأ الحد عن صاحبه بأدنى شبهة، قال ﷺ: "ادْرَءُوا الْحُدُودَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنْ وَجَدْتُمْ لِلْمُسْلِمِ مَخْرَجًا فَخَلُّوا سَبِيلَهُ، فَإِنَّ الْإِمَامَ أَنْ يُخْطِئَ فِي الْعَفْوِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يُخْطِئَ فِي الْعُقُوبَةِ "(٣) وقد أقام عمر بن الخطاب ﷺعلى هذا الحديث صرحا شامخا من أجل التيسير ورفع الحرج في حالة الأزمات والمجاعات، فقد نهى عمر ﷺ أن يحد السارق في عام المجاعة لأنه قد يكون مضطرا لذلك من أجل دفع غائلة الجوع، قَالَ عُمَرُ: «لَا يُقْطَعُ فِي عِذْقٍ وَلَا عَامِ السَّنَةِ»(٤)، ومن أقواله في

---

(١) الأشباه والنظائر، تاج الدين السبكي، جـ٢، صـ ٤٩، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

(٢) المنثور في القواعد الفقهية، الزركشي، جـ ٢، صـ ٢١٧، وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة الثانية: ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.

(٣) السنن الكبرى، البيهقي، جـ ٨، صـ ٤١٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.والحديث ضعيف لضعف أحد رواته، لكن الشوكاني قال بعد أن ذكر ذلك: ." يَصْلُحُ ب لِلِاحْتِجَاجِ بِهِ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ دَرْءِ الْحُدُودِ بِالشُّبُهَاتِ الْمُحْتَمَلَةِ لَا مُطْلَقِ الشُّبْهَةِ" (ينظر: نيل الأوطار الإمام الشوكاني، جـ٧، صـ ١٢٥، دار الحديث، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٣) .

(٤) المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، جـ ٥، صـ ٥٢١، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

ذلك كذلك: «لَئِنْ أُعَطِّلَ الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُقِيمَهَا بِالشُّبُهَاتِ»[١]، ولم يكتف عمر رضي الله عنه بالأوامر النظرية بل بادر إلى التنفيذ العملي لتعليق حد السرقة لوجود شبهة الجوع والعوز، والدليل على ذلك ما حدث مع غلمان حاطب بن أبي بلتعة[٢] رضي الله عنه، فقد حدث "أَنَّ غِلْمَةً لِحَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ سَرَقُوا نَاقَةً لِرَجُلٍ مِنْ مُزَيْنَةَ، فَأَتَى بِهِمْ عُمَرُ، فَأَقَرُّوا، فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَاطِبٍ[٣] فَجَاءَ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ غِلْمَانَ حَاطِبٍ سَرَقُوا نَاقَةَ رَجُلٍ مِنْ مُزَيْنَةَ وَأَقَرُّوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا كَثِيرُ بْنَ الصَّلْتِ[٤] اذْهَبْ فَاقْطَعْ أَيْدِيَهُمْ، فَلَمَّا وَلَّى بِهِمْ رَدَّهُمْ عُمَرُ ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَاللهُ لَوْلَا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَسْتَعْمِلُونَهُمْ وَتُجِيعُونَهُمْ حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَوْ أَكَلَ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ حَلَّ لَهُ لَقَطَعْت أَيْدِيَهُمْ، وَايْمُ اللهِ إِذَا لَمْ أَفْعَلْ لَأُغَرِّمَنَّكَ غَرَامَةً تُوجِعُكَ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُزَنِيُّ بِكَمْ أُرِيدَتْ مِنْك نَاقَتُك؟ قَالَ: بِأَرْبَعِ مِائَةٍ، قَالَ عُمَرُ: اذْهَبْ فَأَعْطِهِ ثَمَانِي مِائَةٍ"[٥].

---

(١) المرجع السابق، جـ٥، ٥١١.

(٢) هو: حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، يكنى أبا عَبْد الله، شهد بدرًا، والحديبية، ومات سنة ثلاثين بالمدينة، وهو ابن خمس وستين سنة، وصلى عليه عثمان (ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن حجر، جـ١، صـ ٣١٢) .

(٣) عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة، له رؤية وعدوه في كبار ثقات التابعين، مات سنة ثمان وستين (ينظر: تقريب التهذيب، ابن حجر، جـ١، صـ٣٢٨، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى: ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م، ت: محمد عوامة) .

(٤) هو كَثِير بْن الصلت بْن معد يكرب الكندي، يكنى أبا عَبْد الله. ولد عَلَى عهد النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أخو زبيد بْن الصلت، وكان اسمه قليلًا، فسماه رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرا. (أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، جـ٤، صـ٤٣٤، مرجع سابق) .

(٥) المصنف، في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، جـ١٠، صـ ٢٣٨، مرجع سابق.

من خلال النصوص النظرية والوقائع العملية التي قام بها عمر بن الخطاب ﷺ من أجل التخفيف ورفع الحرج يمكن ملاحظة عدة أمور من أهمها:

١. اتضح من خلال النصوص النظرية والوقائع العملية الواردة في عام الرمادة أن الشريعة الإسلامية غير متعطشة لتوقيع العقوبات والحدود بل تدرأ العقوبة بأقل شبهة، يقول الأستاذ العقاد[١]: "فلم يكن عمر ﷺ بالسريع المتعطش إلى إقامة الحد، ولم يعرف عنه قط أنه أقام حدا وله مندوحة عنه".[٢] والشبهة الموجودة في عام الرمادة هي أن الذي يسرق قد يسرق مضطرا من أجل الجوع وسد الرمق وإطفاء الحرَق.

٢. استهدفت سياسات الخليفة عمر ﷺ تحقيق مفهوم الأمن الإنساني، الذي يجعل من الإنسان هدفا له في إطار جامع بين أصول بنيته الفوقية: التأسيس للأمن وقواعد بنيته التحتية: الإطعام من الجوع لبلوغ مسألة الأمن بأبعاده المختلفة، حتى يستقر في النفس فيكون أمنا من الخوف يشكل حالة جماعية من الاستقرار والأمن[٣] .

٣. أصَّل عمر بن الخطاب ﷺ من خلال تعليق العمل بحد السرقة عام الرمادة للكثير من الفقهاء للعمل بهذا الرأي الفقهي، " فقَدْ وَافَقَ أَحْمَدَ والأوزاعي رأي عمر ﷺ عَلَى سُقُوطِ الْقَطْعِ فِي الْمَجَاعَةِ، وَهَذَا مَحْضُ الْقِيَاسِ، وَمُقْتَضَى قَوَاعِدِ الشَّرْعِ؛ فَإِنَّ السَّنَةَ إذَا كَانَتْ سَنَةَ مَجَاعَةٍ وَشِدَّةٍ

---

(١) عباس بن محمود بن إبراهيم بن مصطفى العقاد: إمام في الأدب، مصري، من المكثرين كتابة وتصنيفا مع الإبداع. أصله من دمياط، انتقل أسلافه إلى المحلة الكبرى، ظل اسمه لامعا مدة نصف قرن أخرج في خلالها من تصنيفه ٨٣ كتابا، في أنواع مختلفة من الأدب الرفيع، منها كتاب: عن الله، وعبقرية محمد (ينظر: الأعلام، الزركلي، جـ ٣، صـ ٢٦٦) .

(٢) عبقرية عمر، عباس محمود العقاد، صـ ٢٧، دار نهضة مصر، الطبعة العاشرة: ٢٠٠٦م.

(٣) إدارة الأزمات في عصر الراشدين، أسامة عبد الرحمن صـ ١٠٥، بدون.

غَلَبَ عَلَى النَّاسِ الْحَاجَةُ وَالضَّرُورَةُ، فَلَا يَكَادُ يَسْلَمُ السَّارِقُ مِنْ ضَرُورة يَسُدُّ بِهِ رَمَقَهُ، .... وَهَذِهِ شُبْهَةٌ قَوِيَّةٌ تَدْرَأُ الْقَطْعَ عَنْ الْمُحْتَاجِ، فعَامُ الْمَجَاعَةِ يَكْثُرُ فِيهِ الْمَحَاوِيجُ وَالْمُضْطَرُّونَ، وَلَا يَتَمَيَّزُ الْمُسْتَغْنِي مِنْهُمْ وَالسَّارِقُ لِغَيْرِ حَاجَةٍ مِنْ غَيْرِهِ، فَاشْتَبَهَ مَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ الْحَدُّ بِمَنْ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ، فَدُرِئَ.(١)

٤. لفتت السياسة العمرية إلى أهم مميزات الشريعة الإسلامية وهي صلاحيتها للتطبيق في كل زمان ومكان، " فإدراك سيدنا عمر ﷺ لضرورة مراعاة الشريعة السمحة لحال الزمان والمكان والعادات والتمييز بين السياسات المتبعة في الأوقات العادية عن تلك المتبعة في الأزمات، كان وراء ما اتخذه من سياسات واجراءات واجتهادات فقهية لحال الأزمة دون غيرها؛ مما يدل على المرونة في التعامل مع النصوص والأحكام الإلهية، من خلال إعمال العقل والاجتهاد في النصوص والأحكام"(٢)

٥. بيَّنت السياسة العمرية أن معاقبة الناس على جرائم السرقات لا يكون إلا في وقت الرخاء كما بينت الحاجة الملحة إلى بقاء النوع الإنساني، وهذا فهم عميق لنصوص الشريعة الإسلامية، وعدم الوقوف عند حرفية النص، وإدراك للعلاقة بين نصوص الشريعة ودلالتها، فلم يقف عمر ﷺ عند حد حرفية النصوص بل تعداه لدلالتها، التي هي مقاصد الشريعة .

وعلى هذا يخطئ من يظن أن عمر بن الخطاب ﷺ عطل حدا من حدود الله ﷻ، ويستدل بذلك على تعطيل العقوبات، يقول الشيخ الشعراوي: "والسطحيون يقولون: إن سيدنا عمر ﷺ ألغى حَدّ

---

(١) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، جـ٣، صـ ١٧، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١١ هـ/ ١٩٩١م.

(٢) دور القيادة في إدارة الأزمة، سلوى حامد الملا، صـ ١٩٢، مرجع سابق.

السّرقة في عام الرّمادة؛ ونقول لهم: لا، لم يسقط عمر بن الخطاب ﷺ الحد، فالحد باقٍ، ولكنه لم يدخل الحادثة التي حصلت فيما يوجب الحد. والحادثة التي حدثت في عام الرمادة أو عام الجوع هي وجود الشبهة. وبفطنته كأول أمير للمؤمنين، لم يدخل الحوادث فيما يوجب الحد. وفي مسألة عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة – رضي الله عنهما. عندما سرق غلمانه، فماذا حدث؟ قال الغلمان لعمرﷺ: كنا جوعى ولم يكن ابن أبي بلتعة يعطينا الطعام. ودرأ سيدنا عمر ﷺ الحَدَّ بالشُّبهة.[١]، فعمر ﷺ ما عطّل هذا الحد إنما عطَّل نصًا وأحيا نصًا؛ لأن القاعدة الشرعية تقول: ادرأوا الحدود بالشبهات. وما دام قد سرق ليسُدَّ جَوْعته فلم يصل إلى نصاب السرقة، فالسرقة تكون بعد قدر يكفي الضرورة."[٢]

ثانيًا: تأخير جمع الزكاة:

من التدابير التي اتخذها عمر بن الخطاب ﷺ في إطار سياسة التخفيف ورفع الحرج أنه أخرَّ الزكاة ولم يقبضها من الأغنياء في عام الرمادة، فقد ورد أَنَّ عُمَرَ ﷺ تَرَكَ النَّاسَ عَامَ الرَّمَادَةِ لَمْ يَأْخُذْ مِنْهُمُ الصَّدَقَةَ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَأَخَذَ عِقَالَيْنِ[٣] "[٤]، ومن ذلك كذلك ما ورد عَنِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ذُبَابٍ[٥] الدَّوْسِيِّ أحد الذين كانوا يجمعون الصدقات على عهد عمر ﷺ، قَالَ:

---

(١) تفسير الشعراوي، الشيخ / محمد متولي الشعراوي، جـ ٥، صـ ٣١١٥، مطابع أخبار الأيام، بدون.

(٢) المرجع السابق، جـ ١٦، صـ ٩٩٦٦.

(٣) يطلق العقال على صدقة العام (ينظر: مختار الصحاح، صـ ٢١٥) .

(٤) تاريخ المدينة، ابن شبة، جـ ٢، ص ٧٤٥، مرجع سابق

(٥) الحارث بن أبي ذباب بن رافع بن مكيث الجهني ثم الربعي المدني والد خارجة يروي عن جابر بن عبد الله وعنه ابنه خارجة ذكره ابن حبان في ثقاته. (التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، الحافظ السخاوي، جـ ١، صـ ٢٥٥، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣م) .

"لَمَّا كَانَ عَامُ الرَّمَادَةِ، أَخَّرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الصَّدَقَةَ عَامَ الرَّمَادَةِ، حَتَّى إِذَا أَحْيَا النَّاسَ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ وَأَسْمَنَ النَّاسُ، بَعَثَ إِلَيْهِمْ مُصَدِّقِينَ، وَبَعَثَنِي فِيهِمْ، فَقَالَ: خُذْ مِنْهُمُ الْعِقَالَيْنِ: الْعِقَالَ الَّذِي أَخَّرْنَا عَنْهُمْ، وَالْعِقَالَ الَّذِي حَلَّ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ اقْسِمْ عَلَيْهِمْ أَحَدَ الْعِقَالَيْنِ وَأَحْضِرِ الْآخَرَ، قَالَ: فَفَعَلْت"[١] كما وجَّه عمر ﷺ عماله عدة توجيهات أثناء جمعهم للزكاة من البوادي، فكان كلما بعث مصدقا عام الرمادة، فقال له: اعط من أبقت له السنة غنما وراعيا، ولا تعط من أبقت له السنة غنمين وراعين.[٢]

من خلال هذه النصوص السابقة يمكن إيضاح عدة نقاط أهمها:

١. أن عمر ﷺ في هذه المجاعة لم يغفل عن مصلحة الغني كما لم يهمل مصلحة الفقير" فلم يبعث عمر ﷺ جُبَاته عام الرمادة ليقبضوا الزكاة، بل أَخَّرَهُم إلى أن ارتفع الجدب، فلما اطمأن الناس إلى العيش وكثرت عندهم مادته، أمر الجباة أن يسيروا إليهم وأن يأخذوا من كل قادر حصتين: حصة عن عام الرمادة، وأخرى عن العام الذي بعده، وأن يقسموا إحدى الحصتين على المعوزين، ويقدموا عليه بالثانية، بذلك زاد في تخفيف الفقر عن الفقراء، ثم لم يرهق غيرهم ولم يحملهم ما لا طاقة لهم به".[٣]

٢. بينت السياسة العمرية في تأخير الزكاة عام الرمادة أهمية النظر في عواقب الأمور " فلا شك أن الكثير من أهل البادية فقدوا مواشيهم بسبب الجفاف وكان الخليفة ﷺ يدرك أن المجاعة ستترك آثارها على المسلمين، ولذلك نجده ينظر بعين الاعتبار لهذه الظروف القاسية فيتخذ بعض

---

(١) الأموال، ابن زنجويه، جـ٢، صـ٨٢٩، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، جـ٣، صـ٣٢٣، مرجع سابق.

(٣) الفاروق عمر، محمد حسين هيكل، صـ٢٨١مرجع سابق.

القرارات التي من شأنها أن تخفف العبء عن كاهل المسلمين، فكان أول ما فعله أنه أخر جباية الصدقة عام الرمادة فلم يبعث السعاة، فلما كان قابل ورفع الله ذلك الجدب أمرهم أن يخرجوا فأخذوا عقالين فأمرهم أن يقسموا عقالا ويقدموا عليه بعقال وكان عمر ﷺ يبعث السعاة فيأمرهم أن يأتوا الناس حيث كانوا حتى لا يكبدهم المشاق، ومن هنا يتضح لنا أن الخليفة عمر ﷺ لم يكتف فقط بتأخير جمع الزكاة في فترة المجاعة، بل إن هذه الزكاة المتأخرة رُدت مرة أخرى إلى من جمعت منهم وقسمت بين فقرائهم تعويضا لهم عما فقدوا في فترة الجفاف".[١]

٣. لم يكتف عمر ﷺ في زكاة عام الرمادة بأخذ الزكاة فقط بل اهتم بعملية توزيعها على الأفراد والتفريق بين حالة من تركت له المجاعة أغناما ومن لم تترك له إلا العدد القليل، فقد كان من جملة التوجيهات العمرية: اعط من أبقت له السنة غنما وراعيا، ولا تعط من أبقت له السنة غنمين وراعين.

٤. كان من الممكن أن يأخذ الخليفة عمر ﷺ الزكاة عن عام واحد، لكنه أخذها لعامين متوالين وذلك، حتي يترك زكاة العام الأول منها للفقراء في البادية، والعام الثاني يضعه في بيت المال الذي نفد ما فيه من جرَّاء المجاعة.[٢]

وخلاصة القول في هذا المطلب: إن من جملة التدابير المادية التي قام بها عمر بن الخطاب ﷺ التخفيف ورفع الحرج، وهذا من أهم ما تميزت به الشريعة الإسلامية. وذلك من خلال مسلكين، الأول: تعليق العمل بحد السرقة، والثاني: تأجيل جمع الزكاة.

---

(١) معالجة الخليفة عمر بن الخطاب لمشكلة المجاعة عام الرمادة، د. صلاح التيجاني حمودي، صـ ٩٩، مرجع سابق.

(٢) ينظر: سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته وعصره، د. علي محمد الصلابي، ٢٣٢، مرجع سابق .

المطلب الثالث: ترشيد الاستهلاك

من جملة التدابير التي دعت إليها الشريعة الإسلامية للخروج من الأزمات الاقتصادية: ترشيد الاستهلاك وعدم الإسراف في الإنفاق، فلقد دعا القرآن الكريم أتباعه إلى التوسط في الإنفاق فقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء آية: ٢٩]، وهذه المعيشة الوسط بين الإسراف والتقتير هي ما عبر عنها النبيﷺ في دعائه "وأسألك القصد في الفقر والغنى"[(١)] وكان هذا هو منهج الفاروق عمر ﷺعلى وجه العموم طيلة حياته، يقول جابر بن عبد الله[(٢)]ﷺ: "رأى عمر بن الخطاب لحمًا معلقًا بيدي، فقال: ما هذا يا جابر؟ قلت: اشتهيتُ لحمًا فاشتريتُه، فقال: أو كلما اشتهيتَ اشتريتَ يا جابر! أما تخاف هذه الآية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠] "[(٣)] كما كان ذلك من جملة التدابير المادية التي اتخذها عمر بن الخطابﷺ لمعالجة الأزمة في عام الرمادة، فقد تعددت الروايات التي تشير إلى أن عمر ﷺ دعا الرعية في عام الرمادة إلى ترشيد الاستهلاك من خلال عدة آليات قولية وعملية . فقد نوى عمر ﷺ قبل أن تنفرج الأزمة أن يقسم طعام القادرين بينهم وبين غير القادرين فقال: «لَوْ لَمْ أَجِدْ لِلنَّاسِ مِنَ الْمَالِ مَا يَسَعُهُمْ إِلَّا أَنْ أُدْخِلَ عَلَى كُلِّ أَهْلِ بَيْتٍ عِدَّتَهُمْ فَيُقَاسِمُونَهُ أَنْصَافَ بُطُونِهِمْ

---

(١) السنن الكبرى، الإمام النسائي، جـ ٣، صـ ٥٤، كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية: ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م.

(٢) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السملي: صحابي، من المكثرين في الرواية. له ولأبيه صحبة. غزا تسع عشرة غزوة. وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم. روى له البخاري ومسلم وغيرهما ١٥٤٠ حديثا. (الأعلام، الزركلي، جـ٢، صـ ١٠٤) .

(٣) الترغيب والترهيب، الحافظ المنذري، جـ٤، صـ ١٠٣، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ، ت: إبراهيم شمس الدين .

حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِخَيْرٍ لَفَعَلْتُ؛ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْلِكُوا عَلَى أَنْصَافِ بُطُونِهِمْ»[١] وفي رواية أخرى أن عمر الفاروق ﷺ أقسم وقال: "فَوَ اللهِ لَوْ أَنَّ اللهَ لَمْ يُفْرِجْهَا مَا تَرَكْتُ بِأَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَهُمْ سَعَةٌ إِلَّا أَدْخَلْتُ مَعَهُمْ أَعْدَادَهُمْ مِنَ الْفُقَرَاءِ، فَلَمْ يَكُنِ اثْنَانِ يَهْلِكَانِ مِنَ الطَّعَامِ عَلَى مَا يُقِيمُ وَاحِدًا"[٢] وتذكر بعض الروايات أن الحاجة إلى ترشيد الاستهلاك قد اشتدت مع اشتداد الأزمة، فقد ورد في بعض الروايات أن عمر ﷺ قال: «نُطْعِمُ مَا وَجَدْنَا أَنْ نُطْعِمَ، فَإِنْ أَعْوَزَنَا جَعَلْنَا مَعَ أَهْلِ كُلِّ بَيْتٍ مِمَّنْ يَجِدُ عِدَّتَهُمْ مِمَّنْ لَا يَجِدُ، إِلَى أَنْ يَأْتِيَ اللهُ بِالْحَيَا»[٣]، كما تثبت الرواية الأخرى أن عمر ﷺ كان يقوم بترشيد الاستهلاك عمليا، وذلك من خلال بيانه لكيفية التصرف في المعونة التي كانت تأتيه من الأمصار، فقد ورد أن عمر ﷺ قل لأحد عماله الذين بعثهم لاستقبال معونات الأمصار وتوزيعها على الأعراب: " أَمَّا مَا لَقِيتَ مِنَ الطَّعَامِ فَمِلْ بِهِ إِلَى أَهْلِ الْبَادِيَةِ، فَأَمَّا الظُّرُوفُ فَاجْعَلْهَا لُحُفًا يَلْبَسُونَهَا، وَأَمَّا الْإِبِلُ فَانْحَرْهَا لَهُمْ يَأْكُلُونَ مِنْ لُحُومِهَا وَيَحْمِلُونَ مِنْ وَدَكِهَا، وَلَا تَنْتَظِرْ أَنْ يَقُولُوا: نَنْتَظِرُ بِهَا الْحَيَا، وَأَمَّا الدَّقِيقُ فَيَصْطَنِعُونَ وَيُحْرِزُونَ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ لَهُمْ بِالْفَرَجِ، "[٤] كما كان عمر ﷺيوجه عماله إلى رعاية الأعراب المتوافدة على المدينة، وإطعامهم وإحصاء أعدادهم حتى يتمكن من تقديم الطعام المناسب لهم دون إفراط أو تفريط، تقول الرواية: "لَمَّا كَانَ عَامُ الرَّمَادَةِ تَجَلَّبَتِ الْعَرَبُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ فَقَدِمُوا الْمَدِينَةَ، فَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَدْ أَمَرَ رِجَالًا يَقُومُونَ عَلَيْهِمْ

---

(١) تاريخ المدينة، ابن شبة، جـ٢، صـ٧٤٣، مرجع سابق

(٢) الأدب المفرد، البخاري، جـ١، صـ٢٩٠، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م.والحديث صحيح.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد، جـ٣، صـ٣١٥، مرجع سابق

(٤) المرجع السابق، جـ٣، صـ٣١١، .

وَيَقْسِمُونَ عَلَيْهِمْ أَطْعِمَتَهُمْ وَإِدَامَهُمْ"[١]

ولقد بلغ من شدة حرص عمر ﷺعلى ترشيد الاستهلاك أنه امتنع عن ركوب دابة لعلة الإسراف في إطعامها؛ فقد "رَكِبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَامَ الرَّمَادَةِ دَابَّةً فَرَاثَتْ شَعِيرًا، فَرَآهَا عُمَرُ فَقَالَ: «الْمُسْلِمُونَ يَمُوتُونَ هُزْلًا، وَهَذِهِ الدَّابَّةُ تَأْكُلُ الشَّعِيرَ، لَا وَاللهِ لَا أَرْكَبُهَا حَتَّى يَحْيَا النَّاسُ»[٢].

من خلال النصوص السابقة يمكن بيان السياسة العمرية في ترشيد الاستهلاك كتدبير من التدابير المادية التي اتخذها عمر ﷺ في حل الأزمة عام الرمادة، وذلك فيما يلي:

أولا: اتضح من خلال الروايات السابقة أن عمر ﷺكان ينوي - لو طالت الأزمة أكثر - على عمل سياسة ترشيدية للاستهلاك، وهي التقليل الإجباري من الطعام والشراب من خلال نظام التنصيف أي: أن يأكل الإنسان نصف ما كان يأكل في الظروف العادية، وهو بذلك يؤسس لترشيد الاستهلاك من خلال هذه الفكرة "والتنصيف معناه تقسيم حصة الطعام المخصصة مثلا للأسرة الواحدة إلى أسرتين وهو نظام يتبع اليوم في ظروف عدم كفاية الإغاثة الغذائية للاحتياجات الفعلية"[٣]، ولقد أشاد علماء الإسلام القدامى بهذه الفكرة العمرية فقالوا في التعليق على الآثار السابقة ﷺ التي تفيد التنصيف "يُسْتَفَاد مِنْهُ أَن للسُّلْطَان إِذا رأى مسغبة أَن يُفَرِّقهُمْ على السعَة بِقدر مَا لَا يجحف بهم. وَقَالَ كثير من الْعلمَاء: إِن فِي المَال حقوقا سوى الزَّكَاة... وَكَانَت الْمُوَاسَاة إِذْ ذَاك وَاجِبَة لشدَّة الْحَال، وَفِيه: فَضِيلَة الإيثار والمواساة وَأَنه عِنْد كَثْرَة الأضياف يوزعهم الإِمَام على أهل الْمحلة وَيُعْطِي لكل وَاحِد مِنْهُم مَا يعلم أَنه يتحمله، وَيَأْخُذ هُوَ مَا يُمكنهُ، وَمن هَذَا أَخذ عمر

---

(١) نفس المرجع، جـ٣، صـ ٣١٧.

(٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر، جـ٤٤، صـ ٣٤٦، . دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ت: عمرو بن غرامة العمروي، الطبقات الكبرى، ابن سعد، جـ٣، صـ ٣١٢، مرجع سابق.

(٣) الإغاثة الإسلامية، د. سعد الدين عبد الحي، صـ ٩، مرجع سابق.

بن الْخطابﷺ فعله فِي عَام الرَّمَادَة على أهل كل بَيت مثلهم من الْفُقَرَاء، وَيَقُول لَهُم: لَمْ يهْلك امْرُؤ عَن نصف قوته"[١].

ثانيًا: من الأمور الترشيدية التي قام بها عمر بن الخطابﷺ ليقلل من كثرة الاستهلاك عام المجاعة الطعام الجماعي على موائد ضخمة، وهذا بلا شك يقلل من استخدام المؤن مقابل أن يأكل كل إنسان منفردا يقول أحد الباحثين عن هذه الموائد: "وانتشرت ظاهرة الطعام الجماعي بين الناس، إذ خصصت قدور كبيرة يصنع فيها الطعام كما كانت تعمل العصائد، حيث يوضع الزيت في قدور كبيرة ويترك حتى يذهب حره، ثم يثرد الخبز، أو يذر عليه الدقيق، ثم يؤدم بالزيت، ثم يقدم الطعام للناس جماعات"[٢].

ثالثًا: من السياسة العمرية في ترشيد الاستهلاك تعيين عمرﷺ وتخصيصه لمن يقوم بالعمل وذلك حتى يتسنى له محاسبة من يقصر في حالة التقصير "فعندما جاء الناس للمدينة من كل ناحية أمر عمرﷺ رجالا يقومون بمصالحهم في إطار تقسيم أدوار ووظائف العمل على العاملين وإنشاء مؤسسة ترعى شئون اللاجئين بحيث يكون كل موظف عالما بالعمل الذي كلفه به، دون تقصير فيه، ولا يتجاوز إلى عمل آخر مسند لغيره"[٣]"وقد كان هؤلاء يمثلون خلية الطوارئ طيلة اليوم دون انقطاع حتى إذا أمسوا اجتمعوا عند عمرﷺ لينقلوا له تقريرا مفصلا عن كل المستجدات في

---

(١) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدرالدين العيني، جـ ٥، صـ ١٠١، دار إحياء التراث العربي، بدون.

(٢) عام الرمادة دراسة تحليلية، د. شلبي إبراهيم الجعيدي، جـ ٢، صـ ٢٢٤ مجلة كلية الآداب، جامعة دمياط، كلية الآداب، العدد الثاني: ٢٠١٢م.

(٣) دور القيادة في إدارة الأزمة، سلوى حامد الملا، صـ ١٨٩، مرجع سابق.

الساحة"[١].

رابعًا: من التدابير التي قام بها عمر الفاروق ﷺ للعمل على ترشيد الاستهلاك إنشاء مؤسسات الغرض منها إنفاق المؤن بنظام ومن هذه المؤسسات: دار الدقيق " وهي من المؤسسات الاقتصادية التي كانت أيام عمر ﷺ توزع على هؤلاء الوافدين على المدينة من الدقيق والسويق والتمر والزبيب قبل أن تأتي المؤن من مصر والشام والعراق وخراسان، وهذا يدل على عقلية عمر ﷺالعبقرية في تطوير مؤسسات الدولة الاقتصادية وغيرها"[٢].

خامسًا: إلى جانب هذه الروايات هناك روايات أخرى ستُناقَش في موضع آخر من البحث اتضح من خلالها أن عمر ﷺ قد دعا إلى ترشيد الاستهلاك عمليا من خلال تطبيق ذلك على نفسه وأهل بيته، وهذا بلا شك أدعى إلى تنفيذ الرعية لهذا الأمر.

سادسًا: لم يغب عن السياسة العمرية أن يوجه المعونات إلى أهل الأمصار مصحوبة بالنصائح لترشيد الاستهلاك كذلك، وذلك من خلال سياسة الاستغلال الأمثل لهذه المعونات كعمل أثواب من أجولة الطعام، والعمل على ذبح الإبل وأكل لحمها وتخزين ودكها، والعمل على أكل بعض الدقيق وتخزين البعض الآخر، إلى غير ذلك من الأمور.

وخلاصة القول في هذا المطلب: إن ترشيد الاستهلاك من أهم التدابير التي دعا لها عمر ﷺ من أجل الخروج من أزمة المجاعة عام الرمادة، وهو من أهم التدابير التي يجب التعويل عليها سواء أكان ذلك في الوقاية من الأزمات قبل وقوعها، أم في محاولة الخروج منه.

---

(١) الصكوك والأرزاق الشهرية (إحدى السياسات المقترحة لعلاج الأزمات الاقتصادية في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب)، د.سليم مفتاح عبد العزيز، صـ٧، مرجع سابق.

(٢) المقاصد الشرعية، د. أحمد محمود أحمد محمود أبو حسوبة، صـ ١٤، مرجع سابق.

المبحث الثاني: التدابير الروحية للخروج من الأزمات الاقتصادية اقتباسا من عام الرمادة.

من أهم ما يميز الشريعة الإسلامية دون غيرها من الشرائع الأخرى التوازن بين التدابير المادية والروحية في تناولها ومعالجتها للمشكلات والأزمات، فهي تسعى في حلها إلى الأخذ بالأسباب التي تؤدي إلى زوال الأزمة، ومع ذلك لا تهمل صدق التوكل على الله والدعاء والأخذ بالأسباب الروحية التي تعين على حل الأزمة. وهذا هو المقصود بالتدابير الروحية.

والمتأمل للسياسة التي انتهجها عمر بن الخطاب ﷺ في عام الرمادة يجدها سلكت هذا المسلك وصارت في هذا الصدد، فقد أخذ الفاروق ﷺ منذ بداية الأزمة في العمل على حلها بالتدابير المادية كما اتضح في المبحث الأول، ولكنه رغم اجتهاده في حل الأزمة ماديا لم يغفل عن الجانب الروحي؛ بل أولاه العناية الفائقة من تقديم القدوة من نفسه وأهل بيته وصدق اللجوء إلى الله بالدعاء والصلاة، والدعوة إلى التوبة والاستغفار، وتطبيق السنة في الاستسقاء وطلب الغيث والمطر بالصلاة، وهذا ما سوف يتضح من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: القدوة في القيادة.

المطلب الثاني: طلب التوبة والاستغفار.

المطلب الثالث: الدعاء وصدق اللجوء إلى الله.

المطلب الرابع: الاستسقاء.

المطلب الأول: القدوة في القيادة

يتناول هذا المطلب حاجة الأزمات إلى قادة يكونون قدوة لشعوبهم في معايشة الأزمات وعدم إيثارهم لأنفسهم ولا لذويهم بأي شيء، وهذه من أهم عوامل الثقة بين الشعوب وبين من يحكمونهم وخصوصا في زمن الأزمات الاقتصادية، "ففي أوقات الأزمات يزداد تعلق المواطنين بقيادتهم على كافة المستويات بدءا من الرؤساء ومرورا بالقيادات المحلية، والسياسين المنتخبين ومديري الإدارات ووصولا لموظفي الخدمة العامة، حيث يتوقع منهم بوصفهم صانعي القرار مواجهة التحديات والتهديدات أو على الأقل التقليل من حجم الخسارة الناجمة عن الأزمة، وبالتالي هم الأقدر على الخروج بمجتمعاتهم من الأزمة".[(١)]

فلا ينبغي أبدا أن يكون كلام القادة في دعوتهم للتقشف في جانب، وحياتهم المرفهة في جانب آخر، وهذا ما فعله سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ فقد " أخذ عمر ﷺ على نفسه أن يحيا كما تحيا رعاياه في ذلك العام المجدب، وكان يقول: كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يصيبني ما أصابهم[(٢)]؟ وعندما نتأمل هذه المقولة نجد أنها تشكل مفتاح الحكم الصالح في كل عصر ومصر، فعندما لا يشعر الحاكم بشعبه، وتكون له حياته المرفهة فحينئذ ينفتح باب الفساد ويتحقق قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: آية ١٦]، وحياة سيدنا عمر ﷺ وزهده لم تكن عبادة بالمفهوم العام للعبادة، وإنما كانت تعليما للرعية من ناحية، ووسيلة للإحساس بمشاكلها من ناحية أخرى وأنموذجا للقدوة الحسنة."[(٣)]

---

(١) دور القيادة في إدارة الأزمة، سلوى حامد الملا، صـ٥٦، مرجع سابق.

(٢) تاريخ الطبري، الإمام الطبري، جـ٤، صـ٩٨، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، جـ٤، صـ٢٥٠، الكامل في التاريخ، ابن الأثير، جـ٢، صـ٢٧٥.

(٣) إدارة الأزمات في عهد الراشدين، أسامة عبد الرحمن، صـ١٠٣، مرجع سابق.

ولا يظن أحد أن سيدنا عمر ﷺ حينما تعايش مع الأزمة متقشفا أن ذلك كان عن ضيق يد؛ " لقد كان بيت المال في يده، وكان في مقدور عماله بالعراق والشام أن يبعثوا إليه ما يُبقي به على نظام عيشه قبل المجاعة، ثم كان من العذر لو أنه فعل أن تبعته كانت تقتضي ألا يبلغ من الحمل على نفسه والقسوة بها فينوء به الجهد عن رعاية سائر المسلمين، ولكنَّ تصرفه في هذا الموقف كان مثلا رائعا يجدر بكل من ولي الأمر في أمة أن يعرفه وأن يحتذيه"[(١)] .

يقول الأستاذ محمد حسين هيكل[(٢)] عند الحديث عن ذلك معقبا على تصرف سيدنا عمر ﷺ في عام الرمادة: "ولسنا نريد بوقفتنا أن نبدي ما تثيره هذه التصرفات في النفس من إعجاب بعمر ﷺ وإكبار له، وإنما نريد أن نستشف من هذه التصرفات فكرة مجملة عن صورة الحكم في ذهن رجل ألقت عليه الأقدار أن يكون أول بادئ بتفصيل نظام الحكم في الجماعة الإسلامية، وأشد هذه التصرفات أخذًا بالنظر: حَمْل عمر ﷺ على نفسه وقسوته عليها، وأنه لم يكن يحمل عليها رغبة عن الطيبات مما رزق الله، فالإسلام لا يدعوه للرغبة عنها، وإنما كان يفعل ليشعر بشعور الضعفاء فيقول: كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسسني ما يمسهم، وقد حقق ﷺ بتصرفه هذا غرضين جليلين، أولهما: الشعور بألم الناس شعورًا يدفعه إلى مضاعفة الجهد في العناية بهم والعمل لرفع الضر عنهم، والثاني: طمأنينة السواد إلى أن أمير المؤمنين يشاركهم في بأسائهم وضرائهم، فلا تثور نفوسهم، بل يظلون راضين بكل ما يصيبهم؛ لأن أكبر رجل في الدولة يشاركهم فيه، وقد بلغ عمر

---

(١) الفاروق عمر، محمد حسين هيكل، صـ٢٨٧، مرجع سابق.

(٢) كاتب صحفي، ومؤرخ، من أعضاء المجمع اللغوي، ومن رجال السياسة، بمصر، حصل على الدكتوراه في الحقوق من السربون بفرنسا وصنف كتبا، طُبع منها: حياة محمد، في منزل الوحي، و ثورة الأدب والصِّدِّيق أبو بكر، والفاروق عمر (ينظر: الأعلام، الزركلي، جـ٦، صـ١٠٧) .

ﷺمن هذين الغرضين خير ما يبلغه حاكم في أية أمة من الأمم."[١] ولقد ضرب عمر أروع الأمثلة في تقشفه وزهده في عام الرمادة، سواء أكان ذلك في نفسه أم في أهل بيته أم مع الرعية، وبيان ذلك من خلال ما يأتي:

أولاً: القدوة في نفسه:

من خلال مطالعة العديد من الروايات التي تحدثت عن عام الرمادة يمكن معرفة ما فعله عمرﷺ حتي يتعايش مع الأزمة معايشة حقيقية، فمن ذلك أنه أقسم أن لا يأكل طعاما لينا قبل أن يأكل الناس؛ فقد ذكر الرواة: " أَنَّ عُمَرَ ﷺ أُتِيَ عَامَ الرَّمَادَةِ بِقَصْعَةٍ فِيهَا خُبْزٌ مَفْتُوتٌ بِسَمْنٍ، فَدَعَا رَجُلًا كَالْبَدَوِيِّ يَأْكُلُ مَعَهُ، فَجَعَلَ الْأَعْرَابِيُّ يَتَتَبَّعُ بِاللُّقْمَةِ الْوَدَكَ[٢] فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كَأَنَّكَ مُقْفِرٌ[٣] فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: مَا أَكَلْتُ سَمْنًا، وَلَا رَأَيْتُ آكِلًا لَهُ، مُذْ كَذَا وَكَذَا قَبْلَ الْيَوْمِ، فَحَلَفَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَا يَأْكُلُ سَمْنًا وَلَا لَحْمًا حَتَّى يَحْيَا النَّاسُ "[٤].

ولقد تأثر عمر ﷺ في هذا العام من كثرة ما أكل من الطعام الخشن؛ فقد كان قبل الرمادة أبيضا تعلوه الحمرة فشحب لونه وتغير، فقد قال من عايش الأزمة: " كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَبْيَضَ، أَمْهَقَ[٥]، تَعْلُوهُ حُمْرَةٌ، وَكَانَ يُصَفِّرُ لِحْيَتَهُ، ..... وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ شَدِيدَ الْبَيَاضِ، وَكَانَ

---

(١) الفاروق عمر، محمد حسين هيكل، صـ ٢٨٢، مرجع سابق.

(٢) الودك هو الطعام الدسم من اللحم والشحم (ينظر: المعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين، جـ٢، صـ ١٠٢٢) .

(٣) المقفر: مأْخوذ مِنَ القَفَار، وَهُوَ كُلُّ طَعَامٍ يُؤْكَلُ بِلَا أُدم. والقَفَار، بِالْفَتْحِ: الْخُبْزُ بِلَا أُدم والمقفر من يأكل الطعام بلا أدم (ينظر: لسان العرب، ابن منظور، جـ٥، صـ١١١) .

(٤) تاريخ المدينة، ابن شبة، جـ ٢، صـ٢٧، مرجع سابق.

(٥) الأمهق هو شديد البياض وهو عيب في اللون فإذا علته الحمرة استحسن (ينظر: المعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين، جـ٢، صـ٨٩) .

يَأْكُلُ السَّمْنَ وَاللَّبَنَ، فَلَمَّا أَمْحَلَ[١] الناس حرَّمهما عَلَى نَفْسِهِ عَامَ الرَّمَادَةِ، وَقَالَ: وَاللهِ! لَا آكُلُهُمَا حَتَّى يُخْصِبَ النَّاسُ، وَكَانَ يَأْكُلُ الزَّيْتَ حَتَّى تَغَيَّرَ لَوْنُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.[٢]، وعَنْ عِيَاضِ بْنِ خَلِيفَةَ[٣] قَالَ: "رَأَيْتُ عُمَرَ عَامَ الرَّمَادَةِ وَهُوَ أَسْوَدُ اللَّوْنِ وَلَقَدْ كَانَ أَبْيَضَ، فَنَقُولُ: مِمَّ ذَا؟ فَيَقُولُ: كَانَ رَجُلًا عَرَبِيًّا وَكَانَ يَأْكُلُ السَّمْنَ وَاللَّبَنَ، فَلَمَّا أَمْحَلَ النَّاسُ حَرَّمَهَا حَتَّى يَحْيَوْا، فَأَكَلَ بِالزَّيْتِ فَغَيَّرَ لَوْنَهُ، وَجَاعَ فَأَكْثَرَ"[٤].

ولم يقتصر تأثر عمر ﷺ على تغير لون البشرة، بل تجد أمعاءه تضطرب من أكل الطعام الخشن الذي لم يعتد عليه قبل الأزمة، فعَنْ أَنَسٍ، قَال: تُقَرْقِرُ بَطْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، وَكَانَ يَأْكُلُ الزَّيْتُ عَامَ الرَّمَادَةِ، وَكَانَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ السَّمْنَ، قَالَ: فَنَقَرَ بَطْنَهُ بِأُصْبُعِهِ وَقَالَ: «تُقَرْقِرُ[٥]، إِنَّهُ لَيْسَ لَكَ عِنْدَنَا غَيْرُهُ حَتَّى يَحْيَا النَّاسُ»[٦].

وحتى لو أتيحت الفرصة لعامة الرعية أن يأكلوا طعاما لينا إلا أن عمر ﷺ يرفض أن يأكل منه حتى يأكل جميع الناس فيكون هو آخر الآكلين من الطعام اللين، فقد: " كَانَ عُمَرُ يَصُومُ الدَّهْر،

---

(١) الْمحل: انْقِطَاع الْمَطَر ويبس الأَرْض من الْكلأ وَيُقَال أَرض مَحل لَا مرعى بهَا (المعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين، جـ٢، صـ٨٥٦) .

(٢) تاريخ المدينة، ابن شبة، جـ ٢، صـ ٤٧، مرجع سابق.

(٣) عياض بن خليفة الخزاعي سَمِعَ عُمَر وعليا روى عَنْهُ الزُّهْرِيّ ويعقوب بن عتبة ويحيى بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن حاطب، وَرَوَى فليح عَنِ الزُّهْرِيّ عَنْ عياض عَنِ ابْن عَبَّاس. (ينظر: التاريخ الكبير، البخاري، جـ ٧، صـ ٢٠، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، بدون) .

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد، جـ ٣، صـ ٣١٥، مرجع سابق.

(٥) القرقرة: صَوت للبطن من جوع أَو غَيره (المعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين، جـ ٢، صـ ٧٢٩) .

(٦) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، جـ ١، صـ ٤٨، دار الكتب العلمية، ١٤٠٩ هـ.

فَكَانَ زَمَانُ الرَّمَادَةِ إِذَا أَمْسَى أُتِيَ بِخُبْزٍ قَدْ ثُرِدَ بِالزَّيْتِ، إِلَى أَنْ نَحَرُوا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ جَزُورًا فَأَطْعَمَهَا النَّاسَ، وَغَرَفُوا لَهُ طَيِّبَهَا فَأُتِيَ بِهِ، فَإِذَا فِدَرٌ(١) مِنْ سَنَامٍ وَمِنْ كَبِدٍ، فَقَالَ: أَنَّى هَذَا؟ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنَ الْجَزُورِ الَّتِي نَحَرْنَا الْيَوْمَ، قَالَ: بَخْ بَخْ، بِئْسَ الْوَالِي أَنَا إِنْ أَكَلْتُ طَيِّبَهَا وَأَطْعَمْتُ النَّاسَ كَرَادِيسَهَا(٢)، ارْفَعْ هَذِهِ الْجَفْنَةَ، وهَاتِ لَنَا غَيْرَ هَذَا الطَّعَامِ، قَالَ: فَأُتِيَ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ قَالَ: فَجَعَلَ يَكْسِرُ بِيَدِهِ ذَلِكَ الْخُبْزَ، ثُمَّ قَالَ: وَيْحَكَ يَا يَرْفَأُ، احْمِلْ هَذِهِ الْجَفْنَةَ حَتَّى تَأْتِيَ بِهَا أَهْلَ بَيْتٍ بِثَمْغٍ(٣)، فَإِنِّي لَمْ آتِهِمْ مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَأَحْسَبُهُمْ مُقْفِرِينَ، فَضَعْهَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ "(٤).

وكان من جملة معايشته ﷺ للأزمة أن لا يأكل طعاما غلا ثمنه فعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ(٥)، عَنْ أَبِيهِ – ﷺ – قَالَ: " أَصَابَ النَّاسُ عَامُ سَنَةٍ، فَغَلَا فِيهَا السَّمْنُ، وَكَانَ عُمَرُ ﷺ يَأْكُلُهُ، فَلَمَّا قَلَّ قَالَ: «لَا آكُلُهُ حَتَّى يَأْكُلَهُ النَّاسُ»، فَكَانَ يَأْكُلُ الزَّيْتَ، فَقَالَ: «يَا أَسْلَمُ، اكْسَرْ عَنِّي حَرَّهُ بِالنَّارِ»، فَكُنْتُ أَطْبُخُهُ لَهُ

---

(١) الفدرة هي القطعة من اللحم (لسان العرب، ابن منظور، جـ٥، صـ٥٠) .

(٢) الكراديس لحم الرأس أوكل عظمين التقيا فِي مفصل نَحْو الْمَنْكِبَيْنِ والركبتين والوركين (المعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين، جـ٢، صـ٧٨٢) .

(٣) ثَمْغٌ: بالفتح ثم السكون، والغين معجمة: موضع مال لعمر بن الخطاب، رضي الله عنه، حبسه أي وقفه، جاء ذكره في الحديث الصحيح (ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، جـ٢، صـ٨٤) .

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد، جـ٣، صـ٣١٢، مرجع سابق.

(٥) زيد بن أسلم، فقيه مفسر، من أهل المدينة. كان مع عمر بن عبد العزيز أيام خلافته. واستقدمه الوليد بن يزيد، في جماعة من فقهاء المدينة، إلى دمشق، مستفتيا في أمر. وكان ثقة، كثير الحديث، له حلقة في المسجد النبوي. وله كتاب في التفسير رواه عنه ولده. (ينظر: تهذيب التهذيب، ابن حجر، جـ٣، صـ٣٩٥، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى: ١٣٢٦هـ) .

فَيَأْكُلُهُ فَيَتَقَرْقَرْ بَطْنُهُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: «تُقَرْقِرُ، لَا وَاللهِ لَا تَأْكُلُهُ حَتَّى يَأْكُلَهُ النَّاسُ»[١] ولقد بلغت شدة تأثره بالأزمة درجة شديدة، حتى كاد يهلك لولا ستر الله برفع هذه الغمة، فعن زيد بن أسلم قال: " كُنَّا نَقُولُ: لَوْ لَمْ يَرْفَعِ اللهُ الْمَحْلَ عَامَ الرَّمَادَةِ لَظَنَنَّا أَنَّ عُمَرَ يَمُوتُ هَمًّا بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ "[٢]

ثانيًا: القدوة في أهل بيته:

وكما ضرب عمر ﷺ القدوة من نفسه في معايشة الأزمة، ضربها كذلك في أهل بيته، فقد حرم عليهم أن يتنعموا بشيء فيه زيادة عن الرعية في المأكل والمشرب وغير ذلك، والمتأمل للروايات التي تتحدث عن ذلك يجد فيها كلاما يستحق أن يسطر بماء العيون، فمن ذلك ما جاء عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ: " أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ اللَّحْمَ عَامَ الرَّمَادَةِ حَتَّى يَأْكُلَهُ النَّاسُ، فَكَانَ لِعُبَيْدِ اللهِ بْنِ عُمَر[٣] ﷺ بَهْمَةٌ[٤] فَجُعِلَتْ فِي التَّنُّورِ، فَخَرَجَ عَلَى عُمَرَ ﷺ رِيحُهَا، فَقَالَ: " مَا أَظُنُّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِي اجْتَرَأَ عَلَيَّ، وَهُوَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ، فَوَجَدْتُهَا فِي التَّنُّورِ، فَقَالَ عُبَيْدُ اللهِ: اسْتُرْنِي سَتَرَكَ اللهُ، فَقَالَ: قَدْ عَرَفَ حِينَ أَرْسَلَنِي أَنْ لَنْ أَكْذِبَهُ، فَاسْتَخْرَجَهَا، ثُمَّ جَاءَ بِهَا فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ أَنْ تَكُونَ كَانَتْ بِعِلْمِهِ، وَقَالَ عُبَيْدُ اللهِ: إِنَّمَا كَانَتْ لِابْنِي اشْتَرَيْتُهَا

---

(١) السنن الكبرى، البيهقي، جـ٩، صـ٧٣، مرجع سابق.

(٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر، جـ٤٤، صـ٣٤٩. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الحافظ الذهبي، جـ٣، صـ٢٧٤، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣م.

(٣) عبيد الله بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي: صحابي، من أنجاد قريش وفرسانهم. ولد في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلم وأسلم بعد إسلام أبيه. ثم سكن المدينة. وغزا إفريقية مع عبد الله بن سعد. ورحل إلى الشام في أيام علي، فشهد صفين مع معاوية، وقتل فيها (ينظر: الأعلام، الزركلي، جـ٤، صـ١٩٥) .

(٤) الْبَهْمَةُ وَلَدُ الضَّأْنِ يُطْلَقُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَالْجَمْعُ بُهْمٌ (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ، جـ١، صـ٦٤) .

فَقَرِمْتُ إِلَى اللَّحْمِ"[١].

بل تعجب عمر ﷺ من أكلهم لطعام قد يظهر منه أنهم مرفَّهون فيه عن أمة محمد ﷺ: فقد " نَظَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ عَامَ الرَّمَادَةِ إِلَى بِطِّيخَةٍ فِي يَدِ بَعْضِ وَلَدِهِ فَقَالَ: " بَخٍ بَخٍ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، تَأْكُلُ الْفَاكِهَةَ وَأُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ هَزْلَى؟ فَخَرَجَ الصَّبِيُّ هَارِبًا وَبَكَى"[٢].

يقول أحد الباحثين معلقا على ما سبق: "هذا هو فن الحكم في الإسلام، يؤثر الرعية على نفسه، فيأكلون خيرا مما يأكل، وهو الذي يحمل من أعباء الحكم والحياة أضعاف ما يحملون، ويعاني من ذلك أضعاف ما يعانون، وهو في ذلك لا يضع القيود على نفسه وحدها، بل يسير بها ليقيد أفراد أسرته، فهم أيضا يجب أن يعانوا أكثر مما يعاني الناس"[٣].

بل كان يمتنع عن ركوب الدواب لأنها تأكل الشعير وأفراد الأمة لا يجدونه، فقد: " رَكِبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَامَ الرَّمَادَةِ دَابَّةً فَرَاثَتْ[٤] شَعِيرًا، فَرَآهَا عُمَرُ فَقَالَ: «الْمُسْلِمُونَ يَمُوتُونَ هُزْلًا، وَهَذِهِ الدَّابَّةُ تَأْكُلُ الشَّعِيرَ، لَا وَاللهِ لَا أَرْكَبُهَا حَتَّى يَحْيَا النَّاسُ»[٥].

ثالثًا: متابعة عمر للرعية بنفسه والعمل بيده:

كان من جملة ما قام به عمر ﷺ أنه كان يتابع الأزمة بنفسة، بل كان يخدم الوافدين على المدينة بنفسه، ويشرف بنفسة على توزيع المواد التموينية والغذائية على المحتاجين والفقراء وكان يتفقد

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، جـ٣، صـ ٣١٤.

(٢) المرجع السابق، جـ٣، صـ ٣١٥.

(٣) سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته وعصره، د. علي محمد الصلابي، صـ ٢٢٣.

(٤) راثت من الرَّوْثُ وهو: رَجِيعُ ذِي الْحَافِرِ، وَالْجَمْعُ أَرواث (ينظر: لسان العرب، ابن منظور، جـ ٢، صـ١٥٧) .

(٥) تاريخ دمشق، ابن عساكر، جـ٤٤، صـ ٣٤٦، مرجع سابق. الطبقات الكبرى، ابن سعد، جـ٣، صـ ٣١٢، مرجع سابق.

أحوال الرعية وينتقل من بيت إلى بيت طيلة مدة الأزمة. يقول سيدنا أبو هريرة[١]: " يَرْحَمُ اللهُ ابْنَ حَنْتَمَةَ[٢]، لَقَدْ رَأَيْتُهُ عَامَ الرَّمَادَةِ وَإِنَّهُ لَيَحْمِلُ عَلَى ظَهْرِهِ جِرَابَيْنِ وَعُكَّةَ[٣] زَيْتٍ فِي يَدِهِ، وَإِنَّهُ لَيَعْتَقِبُ هُوَ وَأَسْلَمُ، فَلَمَّا رَآنِي قَالَ: مِنْ أَيْنَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قُلْتُ: قَرِيبًا، قَالَ: فَأَخَذْتُ أُعْقِبُهُ، فَحَمَلْنَاهُ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى صِرَارٍ، فَإِذَا صِرْمٌ نَحْوَ مِنْ عِشْرِينَ بَيْتًا مِنْ مُحَارِبٍ، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَقْدَمَكُمْ؟ قَالُوا: الْجَهْدُ، قَالَ: فَأَخْرَجُوا لَنَا جِلْدَ الْمَيْتَةِ مَشْوِيًّا كَانُوا يَأْكُلُونَهُ، وَرُمَّةَ الْعِظَامِ مَسْحُوقَةً كَانُوا يَسُفُّونَهَا، فَرَأَيْتُ عُمَرَ طَرَحَ رِدَاءَهُ، ثُمَّ اتَّزَرَ فَمَا زَالَ يَطْبُخُ لَهُمْ حَتَّى شَبِعُوا، وَأَرْسَلَ أَسْلَمَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَجَاءَ بِأَبْعِرَةٍ فَحَمَلَهُمْ عَلَيْهَا حَتَّى أَنْزَلَهُمُ الْجَبَّانَةَ[٤] ثُمَّ كَسَاهُمْ، وَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِمْ وَإِلَى غَيْرِهِمْ، حَتَّى رَفَعَ اللهُ ذَلِكَ"[٥].

بل بلغ من شدة اهتمامه بأمر الرعية أنه كان يعلم النساء كيفية الطبخ فعن حِزَامُ بْنُ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ - ﷺ - قَالَ: "رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عَامَ الرَّمَادَةِ مَرَّ عَلَى امْرَأَةٍ وَهِيَ تَعْصِدُ عَصِيدَةً[٦] لَهَا

---

(١) عبد الرحمن بن صخر الدوسي، كان أكثر الصحابة ﷺ حفظا للحديث ورواية له. أسلم سنة ٧ هـ ولزم صحبة النبيﷺ، فروى عنه ٥٣٧٤ حديثا وولي إمرة المدينة مدة. ولما صارت الخلافة إلى عمرﷺ استعمله على البحرين، ثم رآه ليّن العريكة مشغولا بالعبادة، فعزله. وأراده بعد زمن على العمل فأبى. وكان أكثر مقامه في المدينة وتوفي فيها. (ينظر: الأعلام، الزركلي، جـ٣، صـ ٣٠٨) .

(٢) هي أم أمير المؤمنين عمر وهي حنتمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومية أسلمت عام الفتح وحسن إسلامها. (ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، جـ٤، صـ ٤٨٤) .

(٣) العكة: زق صَغِير للسمن، وجمعها: عكك وعكاك (المعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين، جـ ٢، ٦١٩) .

(٤) الجبانة: أصله المقبرة، وهو موضع شمال المدينة، وورد في حديث عمر لما زاد في المسجد من شاميه، ثم قال: لو زدنا فيه حتى نبلغ به الجبانة (ينظر: وفاء الوفى بأخبار دار المصطفى، أبو الحسن السمهودي) .

(٥) تاريخ الرسل والملوك، الطبري، جـ ٤، صـ ٢١١، الكامل في التاريخ، ابن الأثير، جـ ٢، صـ٤٢٥.

(٦) العصيدة: دَقِيق يلت بالسمن ويطبخ والجمع عصائد. (المعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين، جـ٢، صـ ٦٠٢) .

فَقَالَ: " لَيْسَ هَكَذَا تَعْصِدِينَ، ثُمَّ أَخَذَ الْمِسْوَطَ[١] فَقَالَ: هَكَذَا، فَأَرَاهَا "[٢] وفي وصيته للنساء يقول عمر ﷺ: «لَا تَذُرَّنَّ إِحْدَاكُنَّ الدَّقِيقَ حَتَّى يَسْخُنَ الْمَاءُ، ثُمَّ تَذُرُّهُ قَلِيلًا قَلِيلًا وَتَسُوطُهُ بِمِسْوَطِهَا، فَإِنَّهُ أَرْيَعُ لَهُ، وَأَحْرَى أَنْ لَا يَتَقَرَّدُ[٣]». [٤]

وكان عمر ﷺ يفعل كل ذلك بتواضع شديد، فقد ظل على تلك الحالة طيلة الأزمة، وفي نهايتها لم ينسب لنفسه فضل، بل رد الفضل في انكشاح الأزمة إلى الله ﷻ، فقد " أَنْفَقَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى أَهْلِ الرَّمَادَةِ حَتَّى وَقَعَ مَطَرٌ، فَتَرَحَّلُوا، فَخَرَجَ عُمَرُ إِلَيْهِمْ رَاكِبًا فَرَسًا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَهُمْ يَتَرَحَّلُونَ بِظَعَائِنِهِمْ، فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مُحَارِبِ بْنِ خَصَفَةَ: أَشْهَدُ أَنَّهَا انْحَسَرَتْ عَنْكَ، وَلَسْتَ بِابْنِ أُمَيَّةَ، فَقَالَ عُمَرُ: وَيْلَكَ، ذَلِكَ لَوْ كُنْتُ أَنْفَقْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَالِي، أَوْ مَالِ الْخَطَّابِ، إِنَّمَا أَنْفَقْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَالِ اللهِ ﷻ". [٥]

يقول الأستاذ محمد حسين هيكل: "هذا هو عمر بن الخطاب ﷺ وهذه هي إدارته في الحكم إذ يفضل أفراد رعيته على نفسه، فيعيشون أفضل مما يعيش، ويأكلون خيرا مما يأكل، ويحمل من أعباء الحكم والحياة أضعاف ما يحملون، ويعاني أضعاف ما يعانون، فهو دائم التفكير والحرص

---

(١) المسوط: خَشَبَة أَو غَيرهَا يُحَرك بهَا مَا فِي الْقدر وَغَيرهَا ليختلط (المعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين، جـ١، صـ ٤٦٣).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، جـ ٣، صـ ٣١٤.

(٣) تقرد الدقيق وَنَحْوه تلبد فِي المَاء حبات وَلم يستو فِي المزج بِهِ (المعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين، جـ٢، صـ ٧٢٢).

(٤) تاريخ الأمم والملوك، الطبري، جـ ٤، صـ ٢١٢.الطبقات الكبرى، ابن سعد، جـ٣، صـ ٣١٤.

(٥) معرفة السنن والآثار، أبو بكر البيهقي، جـ ٩، صـ٩٠، دار الوفاء بالمنصور، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ت: عبد المعطي أمين قلعجي.

على توفير الأقوات للمسلمين يفكر في رعيته، من زحف منهم إلى المدينة، ومن بقي منهم في البادية، ويواجه العبء في كفاءة واقتدار، حكمة ما أعظمها وما أجلها لذاتها؛ وهي أكثر عظمة وجلالا إذ تصدر من رجل اجتمع له يومئذ من ملك كسرى وملك قيصر ما كان المسلمون يفاخرون به فارس والروم والعالم كله، اجتمع له العراق والشام وما فيهما من خير ونعمة، وقد كان قديرًا يومئذ أن يجمع من ترف الفرس ونعيم الروم ما شاء، لكنه كان يرى النعيم تعلقًا بالدنيا، والترف مَضلَّة لصاحبه، فسما عليهما ابتغاء الآخرة وابتغاء وجه الله ورضاه "[1].

وخلاصة ما سبق: إن أول تدبير روحي ومعنوي قام به عمر بن الخطاب ﷺ لمحاولة الخروج من الأزمة هو أنه قام بضرب القدوة والمثل من نفسه وأهل بيته، وشارك الرعية مشاركة فعلية في أزمتهم ومجاعتهم، وهذا من أهم ما يجب أن يلتفت إليه من يتصدى لمعالجة الأزمات الاقتصادية.

---

(١) الفاروق عمر، محمد حسين هيكل، صـ ٢٧٨، ٢٧٩، مرجع سابق.

المطلب الثاني: طلب التوبة والاستغفار

كان من جملة التدابير الروحية التي قام بها عمر الفاروق ﷺ أنه دعا الناس إلى التوبة من الذنوب والمعاصي، وأمرهم باللجوء إلى الله تعالى وطلب المغفرة، وهذا يذِّكر القارئ بما تناوله الباحث في التمهيد للبحث من أن من جملة الأسباب التي أدت إلى المجاعة في عام الرمادة هي الذنوب والمعاصي، فقد ذكر بعض المؤرخين أن السبب في أزمة الرمادة هو سبب ديني وهو أن نفرا من المسلمين شربوا الخمر وتمادوا في شربه، "فقد أرسل أبو عبيدة بن الجراح ﷺ إلى عمر بن الخطاب ﷺ يخبره أن نفرا من المسلمين أصابوا الشراب فأشار عليه أن يضرب أعناقهم إن قالوا بأنه حلال، ويجلدهم ثمانين جلدة إن قالوا بأنه حرام فسألهم فقالوا: حرام، فجلدهم ثمانين ثمانين، فندموا على لجاجتهم، وقال: ليحدثن فيكم يا أهل الشام حادث، فحدثت الرمادة في هذه السنة"[(١)] كما أن هناك معاصي ترتبت على كثرة المال والسعة في العيش الناتجة عن كثرة الفتوحات فقد "شاعت البطالة، وظهرت هنا وهناك فنون حياة باهرة من الفتوة والغزل والكسل، والتكسب بالشعر وقد انتشرت بعد ما جلبته الفتوحات من ثروات"[(٢)].

ولقد انطلق عمر ﷺ في المعالجة الروحية للأزمة من خلال معرفته الأكيدة بوجود العلاقة بين انتشار الذنوب والمعاصي من جانب ومحق البركة وانتشار القحط وقلة المطر من جانب آخر، وذلك من خلال استحضار الآيات القرآنية التي تبين ذلك، ومنها، قال تعالى: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [الروم: آية ٤١] قال

---

(١) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، الطبري، جـ٢، صـ٢٤٩، مرجع سابق.

(٢) الفاروق عمر، عبد الرحمن الشرقاوي، صـ٢١٨، مرجع سابق.

القرطبي[١] في تفسير معنى الفساد الوارد في الآية: "الْفَسَاد الْقَحْطُ وَقِلَّةُ النَّبَاتِ وَذَهَابُ الْبَرَكَةِ. وَنَحْوُهُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ نُقْصَانُ الْبَرَكَةِ بِأَعْمَالِ الْعِبَادِ كَيْ يَتُوبُوا. وَقِيلَ: الْفَسَادُ كَسَادُ الْأَسْعَارِ وَقِلَّةُ الْمَعَاشِ. وَقِيلَ: الْفَسَادُ الْمَعَاصِي وَقَطْعُ السَّبِيلِ وَالظُّلْمُ، أَيْ: صَارَ هَذَا الْعَمَلُ مَانِعًا مِنَ الزَّرْعِ وَالْعِمَارَاتِ وَالتِّجَارَاتِ، وَالْمَعْنَى كُلُّهُ مُتَقَارِبٌ"[٢]. كل هذه التفسيرات السابقة لمعنى الفساد تتواءم مع الأزمة عام الرمادة حيث تدور كلها حول الجفاف وانقطاع المطر، والمعني العام للآية: "ظَهَرَتِ الْمَعَاصِي فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ فَحَبَسَ اللهُ عَنْهُمَ الْغَيْثَ وَأَغْلَى سِعْرَهُمْ لِيُذِيقَهُمْ عِقَابَ بَعْضِ الَّذِي عَمِلُوا." لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" أي لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ"[٣].

كما أدرك الفاروق عمر ﷺ أن المعصية من أكبر أنواع الإفساد في الأرض، وذلك لما يترتب عليها من انقطاع المطر قال أبو العالية: "من عصى الله في الأرض فقد أفسد فيها، لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة، ولهذا جاء في الحديث: «الحد يقام في الأرض، أحب إلى أهلها من أن يمطروا أربعين صباحا»[٤] . والسبب في هذا أن الحدود إذا أقيمت، انكف الناس، أو أكثرهم، عن تعاطى

---

(١) هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمصر وتوفي فيها. من كتبه " الجامع لأحكام القرآن ويعرف بتفسير القرطبي، و الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (ينظر: الأعلام، الزركلي، جـ٥، صـ٣٢٢) .

(٢) تفسير القرطبي، الإمام القرطبي، جـ ١٤، صـ ٤٠.

(٣) المرجع السابق، جـ ١٤، صـ ٤١.

(٤) سنن ابن ماجة، ابن ماجة، كتاب إقامة الحدود، جـ٢، صـ ٨٤٨، دار إحياء الكتب العربية، ت: محمد فؤاد عبد الباقي ونص الحديث: عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَدٌّ يُعْمَلُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، خَيْرٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا»، والحديث حسن.

المحرمات. وإذا ارتكبت المعاصي كان سببا في محق البركات.. وكلما أقيم العدل كثرت البركات والخيرات"(١).

ولقد بين النبي ﷺ في أحاديثه العلاقة بين ارتكاب الذنوب والبعد عن المنهج، وبين قلة البركة وانقطاع المطر، فقَالَ: " يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خِصَالٌ خَمْسٌ إِنِ ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَنَزَلْنَ بِكُمْ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ وَيَأْخُذُ بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بَيْنَهُمْ بِكِتَابِ اللهِ إِلَّا جَعَلَ بِأَسَهُمْ بَيْنَهُمْ"(٢).

كما انطلق عمر الفاروق رضي الله عنه في معالجته للأزمة من خلال معرفته أن التقوى والطاعة والعبادة من أهم أسباب البركة ونزول الغيث من السماء، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾ [الأعراف: ٩٦] ومعنى الآية: "ولو أن أهل تلك القرى المهلكة آمنوا بما جاء به الرسل - عليهم السلام - واتقوا ما حرمه الله عز وجل عليهم، لآتيناهم بالخير من كل وجه، ولوسعنا عليه الرزق سعة عظيمة، ولعاشوا حياتهم عيشة رغدة لا يشوبها كدر، ولا يخالطها خوف، والمراد بالبركات السماوية المطر، وبالبركات الأرضية النبات والثمار وجميع ما فيها من خيرات "(٣).

---

(١) التفسير الوسيط، د. محمد السيد الطنطاوي، جـ١١، صـ ٩٢، مرجع سابق.

(٢) معرفة السنن والآثار، أبو بكر البيهقي، جـ ٥، صـ٢٢، ٢٣، دار الوفاء بالمنصورة، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ت: عبد المعطي أمين قلعجي.

(٣) تفسير الوسيط، د. محمد سيد الطنطاوي، جـ٥، صـ ٣٣٥، مرجع سابق.

كما بينت الآية الأخرى بيانا مباشرا أن التقوى سبب من أسباب الرزق قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢، ٣] فدلالة الآية واضحة على علاقة التقوى بالرزق، ويوضح ذلك أكثر سبب نزول الآية فقد "نَزَلَتْ فِي عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ أَسَرَ الْمُشْرِكُونَ ابْنًا لَهُ يُسَمَّى سَالِمًا، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ وَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ وَقَالَ: إِنَّ الْعَدُوَّ أَسَرَ ابْنِي وَجَزِعَتِ الْأُمُّ، فَمَا تَأْمُرُنِي؟ فَقَالَ عليه السلام: (اتَّقِ اللهَ وَاصْبِرْ وَآمُرُكَ وَإِيَّاهَا أَنْ تَسْتَكْثِرَا مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ) . فَعَادَ إِلَى بَيْتِهِ وَقَالَ لا مرأته: أن رسول الله ﷺ أَمَرَنِي وَإِيَّاكِ أَنْ نَسْتَكْثِرَ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ. فَقَالَتْ: نِعْمَ مَا أَمَرَنَا بِهِ. فَجَعَلَا يَقُولَانِ، فَغَفَلَ الْعَدُوُّ عَنِ ابْنِهِ، فَسَاقَ غَنَمَهُمْ وَجَاءَ بِهَا إِلَى أَبِيهِ، وَهِيَ أَرْبَعَةُ آلَافِ شَاةٍ. فَنَزَلَتِ الْآيَةُ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ تِلْكَ الْأَغْنَامَ لَهُ" .(١)

من خلال هذه النصوص انطلق عمر رضي الله عنه يعالج الأزمة سيرًا على منهج القرآن الكريم، وعلى منهج السنة النبوية المباركة في الدعوة إلى التوبة والاستغفار، فقد صعد المنبر في ذات يوم من أيام المجاعة وقد طُلب منه أن يدعو الله عز وجل لعل الله عز وجل أن يزيح الغمة فما زاد عمر رضي الله عنه في دعائه عن الاستغفار، فعن الشَّعْبِيِّ(٢) قَالَ: " أَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ فِي عَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَصَعِدَ عُمَرُ رضي الله عنه الْمِنْبَرَ فَاسْتَسْقَى، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى الِاسْتِغْفَارِ حَتَّى نَزَلَ، فَقَالُوا لَهُ: مَا سَمِعْنَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتَسْقَيْتَ فَقَالَ: " لَقَدْ طَلَبْتُ الْغَيْثَ بِمَفَاتِيحِ السَّمَاءِ الَّتِي بِهَا يُسْتَنْزَلُ الْمَطَرُ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: **﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾** [نوح: ١١]، وَقَوْلُهُ: **﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ**

---

(١) تفسير القرطبي، الإمام القرطبي، جـ١٨، صـ١٦٢، مرجع سابق.

(٢) هو عامر بن شراحيل، الشعبي الحميري، أبو عمرو: من التابعين، يضرب المثل بحفظه. ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة، قال: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته. وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز. وكان فقيها، : شاعرا. (ينظر: الأعلام، الزركلي، جـ٣، صـ٢٥١) .

﴿تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾[(١)] [هود: ٥٢] ".

والمتأمل في صنيع عمر ﷺ وكلامه يجده قد استحضر ﷺ حياة الأنبياء - عليهم السلام - مع أقوامهم ومحاولة ردهم عن الذنوب والمعاصي، وبيان الأثر المترتب على الاستغفار، فقد استحضر ﷺ حياة شيخ المرسلين نوحا عليه السلام، قالَ المفسرون عن سبب طلب نوح للاستغفار: " لَمَّا كَذَّبُوا نُوحًا زَمَانًا طَوِيلًا حَبَسَ اللهُ عَنْهُمُ الْمَطَرَ، وَأَعْقَمَ أَرْحَامَ نِسَائِهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَهَلَكَتْ مَوَاشِيهِمْ وَزُرُوعُهُمْ، فَصَارُوا إِلَى نُوحٍ عليه السلام وَاسْتَغَاثُوا بِهِ. فَقَالَ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً أَيْ: لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ لِمَنْ أَنَابَ إِلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ تَرْغِيبًا فِي الْإِيمَانِ: يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً. وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً." وهذه الآية كما لفتت عناية عمر ﷺ إلى دور الاستغفار في إدرار السماء وتنزل النعم لفتت عناية الحسن البصري[(٢)] ﷺ كذلك لذلك؛ فقد قَالَ ابْنُ صُبَيْحٍ[(٣)]: " شَكَا رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ الْجُدُوبَةَ فَقَالَ لَهُ: اسْتَغْفِرِ اللهَ. وَشَكَا آخَرُ إِلَيْهِ الْفَقْرَ فَقَالَ لَهُ: اسْتَغْفِرِ اللهَ. وَقَالَ لَهُ آخَرُ. ادْعُ اللهَ أَنْ يَرْزُقَنِي وَلَدًا، فَقَالَ لَهُ: اسْتَغْفِرِ اللهَ. وَشَكَا إِلَيْهِ آخَرُ جَفَافَ بُسْتَانِهِ، فَقَالَ لَهُ: اسْتَغْفِرِ اللهَ. فَقُلْنَا لَهُ فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: مَا قُلْتُ مِنْ عِنْدِي شَيْئًا، إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي سُورَةِ نُوحٍ: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً. يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً. وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ

---

(١) معرفة السنن والآثار، أبو بكر البيهقي، جـ٣، صـ٤٩٠، مرجع سابق .

(٢) هو: الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة، وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب، . توفي بالبصرة (ينظر: الأعلام، الزركلي، جـ٢، صـ٢٢٦، مرجع سابق) .

(٣) هو يوسف بن القاسم بن صَبِيح العجليّ: كاتب، من ساكني سواد الكوفة، من بيت بلاغة وفضل. كان من كتاب بني أمية. ولما آلت الدولة إلى بني العباس، استكتبه عبد الله بن علي عم المنصور فكان من خاصته. وله أشعار فيه. (ينظر: الأعلام، الزركلي، جـ٨، صـ٢٤٥) .

وَيَجْعَلْ لَكُمْ أنهارا﴾ "[١]

كما استحضر الفاروق ﷺ كذلك قصة نبي الله هود عليه السلام مع قومه وهو يرشدهم إلى الاستغفار، وإلى التوبة وطلب المغفرة: قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ "أَيْ يُمَتِّعُكُمْ بِالْمَنَافِعِ من سَعَةِ الرِّزْقِ وَرَغَدِ الْعَيْشِ، وَلَا يَسْتَأْصِلُكُمْ بِالْعَذَابِ كَمَا فَعَلَ بِمَنْ أَهْلَكَ قَبْلَكُمْ"[٢].

كما كان من عادة عمر ﷺ في عام الرمادة أن يدعو الناس عشية كل يوم إلى أن يتوجهوا إلى ربهم عز وجل بالتوبة وطلب المغفرة، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَاعِدَةَ[٣] قَالَ: " رَأَيْتُ عُمَرَ إِذَا صَلَّى الْمَغْرِبَ نَادَى: أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ، وَسَلُوهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَاسْتَسْقُوا سُقْيَا رَحْمَةٍ لَا سُقْيَا عَذَابٍ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى فَرَّجَ اللهُ ذَلِكَ».[٤]

كما استخدم الفاروق ﷺ المنبر كوسيلة من وسائل الدعوة من أجل الحث على التوبة والاستغفار، واستخدم خطبة الجمعة كأعظم ركن من أركان الدعوة من أجل دعوة الرعية للتوبة والتخلي عن الذنوب، وذلك بأسلوبه البليغ الفريد الذي يأخذ بالقلوب والألباب، فعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ

---

(١) تفسير القرطبي، الإمام القرطبي، جـ١٨، صـ ٣٠٢، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق، جـ ٩، صـ ٤.

(٣) عبد الله بن ساعدة عَبْد اللهِ ساعدة أخو عويم بْن ساعدة الأنصاري. مدني. روى عَنْهُ مُسْلِم بْن جندب أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: من كانت لَهُ غنم فليسر بها عَنِ المدينة، فإن المدينة أقل أرض الله مطرا. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب، القرطبي، جـ ٣، صـ ٩١٤) .

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد، جـ ٣، صـ ٣٢٠، مرجع سابق.

يَسَارٍ[١] قَالَ: " خَطَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ النَّاسَ فِي زَمَانِ الرَّمَادَةِ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللهَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَفِيمَا غَابَ عَنِ النَّاسِ مِنْ أَمْرِكُمْ، فَقَدِ ابْتُلِيتُ بِكُمْ، وَابْتُلِيتُمْ بِي، فَمَا أَدْرِي السُّخْطَةُ عَلَيَّ دُونَكُمْ، أَوْ عَلَيْكُمْ دُونِي، أَوْ قَدْ عَمَّتْنِي وَعَمَّتْكُمْ، فَهَلُمُّوا فَلْنَدْعُ اللهَ يُصْلِحْ قُلُوبَنَا، وَأَنْ يَرْحَمَنَا، وَأَنْ يَرْفَعَ عَنَّا الْمَحْلَ» قَالَ: فَرُئِيَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ رَافِعًا يَدَيْهِ يَدْعُو اللهَ، وَدَعَا النَّاسُ، وَبَكَى وَبَكَى النَّاسُ مَلِيًّا، ثُمَّ نَزَلَ "[٢].

ولم يكتف عمر ﷺ بطلب التوبة والمغفرة في خطب الجمعة فقط؛ بل كان يأمر بذلك في غالب الأوقات فعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي أَخْشَى أَنْ تَكُونَ سُخْطَةٌ عَمَّتْنَا جَمِيعًا، فَأَعْتِبُوا[٣] رَبَّكُمْ، وَانْزَعُوا، وَتُوبُوا إِلَيْهِ، وَأَحْدِثُوا خَيْرًا».[٤]

كما ورد في بعض الروايات أن عمر ﷺ حينما أراد أن يستسقي بدأ استسقائه بطلب المغفرة من الله تعالى، فعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مَرْوَانَ[٥]، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ كَانَ مَعَ عُمَرَ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أَسْتَسْقِي غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ إِذَا أَصْبَحْنَا قَالَ: فَحَضَرَ النَّاسُ بَابَهُ بُكْرَةً حَتَّى خَرَجَ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا؛ إِنَّكَ

---

(١) هو: سليمان بن يسار مولى ميمونة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وكان عالمًا ثقة عابداً ورعًا حجة؛ توفي سنة سبع ومائة، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، رحمه الله تعالى. (ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، جـ٢، صـ٣٩٩، دار صادر، بيروت، بدون) .

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، جـ٣، صـ٣٢٢

(٣) العَتْب هو طلب الرضا (ينظر: مختار الصحاح، صـ١٩٩) .

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد، جـ٣، صـ٣٢٢، مرجع سابق.

(٥) عطاء بن أبي مروان الأسلمي أبو مصعب المدني نزيل الكوفة روى عن أبيه وعنه ابنه سعيد وصالح بن كيسان وغيرهم، قال عبد الله بن أحمد عن أبيه ثقة وكذا قال بن معين والنسائي وقال أبو داود معروف وذكره بن حبان في الثقات وقال مات في ولاية السفاح (ينظر: تهذيب التهذيب، ابن حجر، جـ٧، صـ٢١١) .

كُنْتَ غَفَّارًا، حَتَّى جَاءَ الْمُصَلَّى رَافِعًا صَوْتَهُ "[١].

وحينما ندب عمر ﷺ العباس بن عبد المطلب[٢] ﷺ ليؤُّم الناس في صلاة الاستسقاء على نحو ما سيتضح فيما سيأتي، كان من جملة ما لفت انتباهه: التركيز على أن الذنوب سبب من أسباب نزول البلاء، فقد جاء في بعض الروايات أن العباس ﷺ دعا الناس للتوبة والرجوع إلى الله ﷻ وكان من جملة دعائه في المحنة: " اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بَلَاءٌ مِنْ السَّمَاءِ إِلَّا بِذَنْبٍ وَلَمْ يَنْكَشِفْ إِلَّا بِتَوْبَةٍ، وَقَدْ تَوَجَّهَ بِي الْقَوْمُ إِلَيْك لِمَكَانِي مِنْ نَبِيِّك، وَهَذِهِ أَيْدِينَا إِلَيْك بِالذُّنُوبِ وَنَوَاصِينَا إِلَيْك بِالتَّوْبَةِ فَاسْقِنَا الْغَيْثَ "[٣]

وخلاصة القول في هذا المطلب: إن من أهم التدابير الروحية التي ينبغي الأخذ بها للخروج من الأزمات الاقتصادية هي التوبة الصادقة والاستغفار وصدق الرجوع إلى الله ﷻ، والبعد عن المعاصي والذنوب وهذا ما دعا إليه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ من خلال خطبه وأدعيته عام الرمادة، وهو ما دعت إليه شريعة الإسلام على وجه العموم.

---

(١) تاريخ المدينة، ابن شبة، جـ٢، صـ ٧٣٢، مرجع سابق.

(٢) هو العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ ومن أكابر قريش في الجاهلية والإسلام وجدّ الخلفاء العباسيين، أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه، وأقام بمكة يكتب إلى الرسول ﷺ أخبار المشركين، ثم هاجر إلى المدينة، وشهد وقعة حنين حيث ثبت عند ما انهزم الناس، وشهد فتح مكة. توفي عام ٣٢هـ. (ينظر: معجم أعلام شعراء المدح النبوي، عبد الله بن عمر محمد أحمد درنيقة، دار الهلال، مصر الطبعة: الأولى: ١٩٩٧) .

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، جـ ٢، صـ ٤٩٧، دار المعرفة، بيروت: ١٣٧٩ هـ، سبل السلام، الصنعاني، جـ١، صـ٤٥٢، دار الحديث، بدون.

المطلب الثالث: الدعاء وصدق اللجوء إلى الله

كان من جملة التدابير الروحية التي قام بها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ: الدعاء وصدق اللجوء إلى الله تعالى، ولعل السبب في إعطاء عمر بن الخطاب ﷺ للدعاء هذه الأهمية في عام الأزمة هو إدراكه ﷺ أن الدعاء من أهم العبادات التي تفرج الكروب، قال تعالى في شأن نوح عليه السلام: ﴿**وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ**﴾ [الصافات: ٧٥، ٧٦]، والناظر في الآية الكريمة يجد أن نجاة نوح عليه السلام من الكرب كانت بسبب الدعاء والمناداة، كما أرشد النبي ﷺ إلى أن الدعاء سبب من أسباب تفريج الكروب، وتخطي الأزمات، قَالَ ﷺ: " مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلا حَزَنٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هَوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا"[(١)] ولا شك أن الحديث ينطبق على الهموم المادية والمعنوية معا، فمن الممكن أن يستعان بهذا الدعاء في الأزمات المادية كما يستعان به في الأزمات المعنوية كذلك.

قال ابن القيم[(٢)] في بيان شأن الدعاء وعلاقته بالبلاء: " وَالدُّعَاءُ مِنْ أَنْفَعِ الْأَدْوِيَةِ، وَهُوَ عَدُوُّ الْبَلَاءِ، يَدْفَعُهُ، وَيُعَالِجُهُ، وَيَمْنَعُ نُزُولَهُ، وَيَرْفَعُهُ، أَوْ يُخَفِّفُهُ إِذَا نَزَلَ، وَهُوَ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ.... وَلِلدُّعَاءِ مَعَ الْبَلَاءِ ثَلَاثُ مَقَامَاتٍ: أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ أَقْوَى مِنَ الْبَلَاءِ فَيَدْفَعُهُ.

---

(١) رواه أحمد في مسنده، جـ ٧، صـ ٣٤١، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م. والحديث صحيح.

(٢) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقيّ، أبو عبد الله، شمس الدين: من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شئ من أقواله، وألّف تصانيف كثيرة منها: إعلام الموقعين الطرق الحكمية في السياسة الشرعية (الأعلام، الزركلي، جـ٦، صـ٥٦) .

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ أَضْعَفَ مِنَ الْبَلَاءِ فَيَقْوَى عَلَيْهِ الْبَلَاءُ، فَيُصَابُ بِهِ الْعَبْدُ، وَلَكِنْ قَدْ يُخَفِّفُهُ، وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا. الثَّالِثُ: أَنْ يَتَقَاوَمَا وَيَمْنَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ". (١)

ولقد بين النبي ﷺ طبيعة المعركة بين الدعاء والبلاء فقال: «لَا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ فَيَلْقَاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ". (٢)

كل هذه النصوص التي تؤكد على أهمية الدعاء في دفع الضر والبلاء لَفَتَتْ عناية عمر بن الخطاب ﷺ إلى معالجة الأزمة في عام الرمادة من خلال الدعاء وصدق اللجوء إلى الله تعالى، فكان ينتهز فرصة الخطب فيخطب في الناس مذكرًا لهم بأهمية الدعاء وصدق اللجوء إلى الله لتيقنه ﷺ أنه لا يكشف الكرب إلا الله ﷻ ولا يغيثهم في أزمتهم إلا هو ﷻ، فقد خَطَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ النَّاسَ فِي زَمَانِ الرَّمَادَةِ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللهَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَفِيمَا غَابَ عَنِ النَّاسِ مِنْ أَمْرِكُمْ، فَقَدِ ابْتُلِيتُ بِكُمْ، وَابْتُلِيتُمْ بِي، فَمَا أَدْرِي السُّخْطَةُ عَلَيَّ دُونَكُمْ، أَوْ عَلَيْكُمْ دُونِي، أَوْ قَدْ عَمَّتْنِي وَعَمَّتْكُمْ، فَهَلُمُّوا فَلْنَدْعُ اللهَ يُصْلِحْ قُلُوبَنَا، وَأَنْ يَرْحَمَنَا، وَأَنْ يَرْفَعَ عَنَّا الْمَحْلَ» قَالَ: فَرُئِيَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ رَافِعًا يَدَيْهِ يَدْعُو اللهَ، وَدَعَا النَّاسُ، وَبَكَى وَبَكَى النَّاسُ مَلِيًّا، ثُمَّ نَزَلَ ". (٣)

ولِعِلْم عمر بن الخطاب ﷺ أهمية الدعاء في جوف الليل وفي وقت السحر كان يكثر من الدعاء في هذا الوقت طالبًا من الله أن يرفع الغمة عن أمة محمد ﷺ "فعَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يُصَلِّي فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ زَمَانَ الرَّمَادَةِ وَهُوَ يَقُولُ:

---

(١) الداء والدواء، ابن قيم الجوزية، صـ١٠، دار المعرفة، المغرب، الطبعة الأولى: ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧م.

(٢) المستدرك على الصحيحين، الإمام الحاكم، جـ١، صـ٦٩٩، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١١ هـ/ ١٩٩٠م.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد، جـ٣، صـ٣٢٢، مرجع سابق.

اللَّهُمَّ لا تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ وَارْفَعْ عَنَّا الْبَلاءَ. يُرَدِّدُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ"[١]

كما كان لسان عمر ﷺ لا يفتُر عن الدعاء لأمة محمد ﷺ أن يُنجيَّها من هذه الأزمة، فعَنِ عبد الله ابْنِ عُمَرَ ﷺقَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب قد أَحْدَثَ فِي زَمَانِ الرَّمَادَةِ أَمْرًا مَا كَانَ يَفْعَلُهُ. لَقَدْ كَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْعِشَاءَ ثم يخرج حتى يَدْخُلُ بَيْتَهُ فَلا يَزَالُ يُصَلِّي حَتَّى يَكُونَ آخر الليل، ثم يخرج حتى يَدْخُلُ بَيْتَهُ فَلا يَزَالُ يُصَلِّي حَتَّى يَكُونَ آخِرُ اللَّيْلِ. ثُمَّ يَخْرُجُ فَيَأْتِي الأَنْقَابَ فَيَطُوفُ عَلَيْهَا وَإِنِّي لأَسْمَعُهُ لَيْلَةً فِي السَّحَرِ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ هَلاكَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَى يَدَيَّ"[٢].

وحينما أزمع عمر ﷺعلى صلاة الاستسقاء كآخر حلٍ انفرجت بعده الأزمة على نحو ما سيتضح فيما يأتي، سبق ذلك بالدعاء ودعوة الرعية إلي أن يتضرعوا إلى الله ﷻ، حيث: " كَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ أَنْ يَخْرُجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَأَنْ يَتَضَرَّعُوا إِلَى رَبِّهِمْ وَيَطْلُبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَرْفَعَ هَذَا الْمَحْلَ عنهم، وخرج لذلك اليوم مرتديا بُرْد رَسُولِ الله - ﷺ - حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمُصَلَّى فَخَطَبَ النَّاسَ وَتَضَرَّعَ. وَجَعَلَ النَّاسُ يُلِحُّونَ فَمَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ إلا الاسْتِغْفَارَ حَتَّى إِذَا قَرِبَ أَنْ يَنْصَرِفَ رَفَعَ يَدَيْهِ مَدًّا وَحَوَّلَ رِدَاءَهُ وَجَعَلَ الْيَمِينَ عَلَى الْيَسَارِ ثُمَّ الْيَسَارَ عَلَى الْيَمِينِ. ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ وَجَعَلَ يُلِحُّ فِي الدعاء: اللَّهُمَّ عَجَزَتْ عَنَّا أَنْصَارُنَا وَعَجَزَ عَنَّا حَوْلُنَا وَقُوَّتُنَا وَعَجَزَتْ عَنَّا أَنْفُسُنَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ، اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا وَأَحْيِ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ" .[٣]

وخلاصة القول: إن الأدعية السابقة على لسان عمر ﷺ تؤكد على أهمية الدعاء في معالجة الأزمات الاقتصادية، كما تؤكد أن المعالجة الإسلامية للأزمات تختلف عن المعالجات الأخرى

---

(١) المرجع السابق، جـ٣، صـ٣١٩.

(٢) نفس المرجع، جـ٣، صـ٣١٢.

(٣) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، جـ٢، صـ٣٧٥، مرجع سابق. البداية والنهاية، ابن كثير، صـ٧، صـ١٠٤، مرجع سابق. تاريخ الأمم والملوك، الطبري، جـ٤، صـ٩٩، مرجع سابق.

التي لا تهتم إلا بالأمور المادية وفقط، ولا تعير الجانب الروحي أي اهتمام، لكنها تجمع بين الجانبين، حيث جمع عمر بن الخطاب ﷺ كلا الأمرين معا فأعطى دليلا للذين يتصدرون إدارة الأزمات أن الدعاء والتقرب إلى الله لا يتعارض مع الأخذ بالأسباب، وأن الأزمة لاتحل بالأخذ بالأسباب وفقط.

المطلب الرابع: الاستسقاء

كان من أهم التدابير الروحية التي قام بها عمر بن الخطاب ﷺ الاستسقاء وطلب الغيث من السماء، فبعد أن دعا الرعية إلى التوبة والاستغفار ورفع أكف الضراعة إلى الله بالدعاء ليُكشف البلاء، أشار عليه بعض الصحابة ﷺ بالاستسقاء فنزل عمر ﷺ على مشورتهم واستسقى بالناس وسجد جبار الأرض فلبى جبار السماء، ويأتي هذا المطلب ليناقش الظروف التي تم فيها استسقاء عمر ﷺ، وذلك من خلال ما يأتي:

أولاً: معنى الاستسقاء، وحكمه، وبيان الحكمة منه.

الاستسقاء لغة: "طلب السقيا، أي طلب إنزال الغيث على البلاد والعباد. والاسم: السقيا بالضم، واستسقيت فلانا: إذا طلبت منه أن يسقيك".(١)

واصطلاحا: "طلب إنزال المطر من الله بكيفية مخصوصة عند الحاجة إليه".(٢)

وهو سنة مؤكدة، فعله رسول الله ﷺوصحابته ﷺ والمسلمون من بعدهم، والدليل على ذلك ما ورد عن " أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ(٣) "أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ مِنْ بَابٍ كَانَ وِجَاهَ المِنْبَرِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: هَلَكَتِ المَوَاشِي، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللهَ يُغِيثُنَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا» قَالَ

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، جـ١٤، صـ ٣٩٣، مرجع سابق.

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية، مجموعة من الباحثين جـ٣، صـ ٣٠٤، دار السلاسل، الكويت، الطبعة الثانية

(٣) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي النجاري خادم رسول الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، يكنى أبا حمزة، سمي باسم عمه أنس بن النضر. أمه أم سليم بنت ملحان الأنصارية، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين، وتوفى وَأَنَا ابْنُ عِشْرِينَ مات أنس سَنَة ثلاث وتسعون من الهجرة (ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن حجر، جـ١، صـ ١٠٩) .

أَنَسُ: وَلاَ وَاللهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلاَ قَزَعَةً وَلاَ شَيْئًا وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ، وَلاَ دَارٍ قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ، انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ، قَالَ: وَاللهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ البَابِ فِي الجُمُعَةِ المُقْبِلَةِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللهَ يُمْسِكْهَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا، وَلاَ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالجِبَالِ وَالآجَامِ وَالظِّرَابِ وَالأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ» قَالَ: فَانْقَطَعَتْ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ قَالَ شَرِيكٌ: فَسَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ: أَهُوَ الرَّجُلُ الأَوَّلُ؟ قَالَ: «لاَ أَدْرِي»"[1].

الحكمة من مشروعيته:

شرع الله لأمة محمدﷺ الاستسقاء من أجل حكم عظيمة منها "أن الإنسان إذا نزلت به الكوارث، وأحدقت به المصائب فبعضها قد يستطيع إزالتها، وبعضها لا يستطيع بأي وسيلة من الوسائل، ومن أكبر المصائب والكوارث الجدب المسبب عن انقطاع الغيث، الذي هو حياة كل ذي روح وغذاؤه، ولا يستطيع الإنسان إنزاله أو الاستعاضة عنه، وإنما يقدر على ذلك ويستطيعه رب العالمين فشرع الشارع الحكيم سبحانه الاستسقاء، طلبا للرحمة والإغاثة بإنزال المطر الذي هو حياة كل شيء ممن يملك ذلك، ويقدر عليه، وهو الله ﷻ"[2] كل هذه الحكم ألجأت عمرﷺ إلى العمل بسنة الاستسقاء، وهو ما سيتضح في الجزئية القادمة.

ثانيًا: استسقاء عمر في عام الرمادة:

لجأ عمر ﷺ إلى العمل بسنة الاستسقاء في نهاية المطاف بعد أن أخذ بكل التدابير المادية التي تساعد على انكشاح الأزمة، وتذكر الروايات أن الصحابة ﷺ أشاروا عليه بذلك، فحينما طلب عمر

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، جـ٢، صـ ٢٨، كتاب الجمعة، باب الاستسقاء في المسجد الجامع، مرجع سابق.

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية، جـ٣، صـ ٣٠٦، مرجع سابق.

ﷺالمدد من الأمصار كان من وصايا أبي موسى الأشعري ﷺ لعمرﷺ: " يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الْخَلْقَ لَا يَسَعُهُمْ إِلَّا الْخَالِقُ، فَلَوْ أَنَّكَ كَتَبْتَ فِي الْأَمْصَارِ وَوَاعَدْتَهُمْ يَوْمًا، فَأَمَرْتَهُمْ فَخَرَجُوا، فَاسْتَسْقَوْا وَدَعَوْا، فَلَمَّا أَتَاهُ كِتَابُهُ قَالَ: وَاللهِ مَا أَرَى أَبَا مُوسَى إِلَّا قَدْ أَشَارَ بِرَأْيٍ، فَكَتَبَ، فَخَرَجَ النَّاسُ فَاسْتَسْقَوْا فَسُقُوا"[(١)].

كما أشار عليه كعب الأحبار[(٢)] ﷺ كذلك بنفس هذه المشورة، فقد قال كعب الأحبارﷺ لعمر ﷺ: " إن بني إسرائيل كان إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الأنبياء - عليهم السلام - فقال عمر ﷺ هذا العباس ﷺ عمّ النبي ﷺ وصنو أبيه وسيد بني هاشم فمشى إليه وكلمه وخرج معه الناس إلى المصلى".[(٣)]

ومن أعجب الروايات التي وردت في سبب استسقاء عمرﷺ أن أحد الصحابة ﷺرأى النبيﷺ في منامه يوصيه أن يأتي عمرﷺ ويأمره أن يستسقي بالناس فحينما "قَالَ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ مُزَيْنَةَ لِصَاحِبِهِمْ، وَهُوَ بِلَالُ بْنُ الْحَارِثِ: قَدْ هَلَكْنَا فَاذْبَحْ لَنَا شَاةً. قَالَ: لَيْسَ فِيهِنَّ شَيْءٌ. فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى ذَبَحَ فَسَلَخَ عَنْ عَظْمٍ أَحْمَرَ، فَنَادَى: يَا مُحَمَّدَاهُ! فَأُرِيَ فِي الْمَنَامِ أَنَّ رَسُولَ الله - ﷺ - أَتَاهُ فَقَالَ: أَبْشِرْ بِالْحَيَا، إِيتِ عُمَرَ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ إِنِّي عَهِدْتُكَ وَأَنْتَ وَفِيُّ الْعَهْدِ شَدِيدُ الْعَقْدِ، فَالْكَيْسَ الْكَيْسَ يَا عُمَرُ! فَجَاءَ حَتَّى أَتَى بَابَ عُمَرَ فَقَالَ لِغُلَامِهِ: اسْتَأْذِنْ لِرَسُولِ رَسُولِ الله - ﷺ - فَأَتَى عُمَرَ

---

(١) تاريخ المدينة، ابن شبة، جـ ٢، صـ ٧٤٣، مرجع سابق.

(٢) هو كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق: تابعي. كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في دولة عمرﷺ، فأخذ عنه الصحابة ﷺوغيرهم كثيرا من أخبار الأمم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابةﷺ. وخرج إلى الشام، فسكن حمص، وتوفي فيها، عن مئة وأربع سنين. (ينظر: الأعلام، الزركلي، جـ٥، صـ ٢٢٨) .

(٣) ينظر: البدء والتاريخ، بن طاهر المقدسي، جـ٥، صـ ١٨٧، مكتبة الثقافة العربية، بور سعيد، بدون.

فَأَخْبَرَهُ، فَفَزِعَ وَقَالَ: رَأَيْتَ بِهِ مَسًّا؟ قَالَ: لَا، فَأَدْخَلَهُ، وَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، فَخَرَجَ فَنَادَى فِي النَّاسِ وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: نَشَدْتُكُمُ اللهَ الَّذِي هَدَاكُمْ هَلْ رَأَيْتُمْ مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُونَ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ لَا، وَلِمَ ذَاكَ؟ فَأَخْبَرَهُمْ فَفَطِنُوا وَلَمْ يَفْطَنْ عُمَرُ، فَقَالُوا: إِنَّمَا اسْتَبْطَأَكَ فِي الِاسْتِسْقَاءِ فَاسْتَسْقِ بِنَا.[1] كل هذه الأسباب مجتمعة جعلت عمر ﷺ يلجأ إلى صلاة الاستسقاء، لتحيا البلاد ويحيا والعباد .

وحضر في ذهن عمر ﷺ أنهم كانوا إذا أرادوا الاستسقاء في زمن النبي ﷺ استسقوا بالنبي ﷺ لأنه أكرم الخلق على الله ﷻ، وأصلحهم، ففكر في أكبر الموجودين من أهل بيت النبي ﷺ، وأصلحهم رجاء بركته ورغبة في سرعة الاستجابة، فدعا العباس بن عبد المطلب ﷺ فاستسقى به، فعَنِ أَنَسٍ قَالَ: "كَانُوا إِذَا قَحَطُوا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ اسْتَسْقَوْا بِالنَّبِيِّ ﷺ فَيَسْتَسْقِي لَهُمْ فَيُسْقَوْنَ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي إِمَارَةِ عُمَرَ قَحَطُوا فَخَرَجَ عُمَرُ بِالْعَبَّاسِ يَسْتَسْقِي بِهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا إِذَا قَحَطْنَا عَلَى عَهْدِ نَبِيِّكَ ﷺ وَاسْتَسْقَيْنَا بِهِ فَسَقَيْتَنَا وَأَنَا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ ﷺ فَاسْقِنَا"[2].

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: اسْتَسْقَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَامَ الرَّمَادَةِ بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: " اللَّهُمَّ هَذَا عَمُّ نَبِيِّكَ الْعَبَّاسُ، نَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِهِ فَاسْقِنَا، فَمَا بَرِحُوا حَتَّى سَقَاهُمُ اللهُ، قَالَ: فَخَطَبَ عُمَرُ النَّاسَ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَرَى لِلْعَبَّاسِ مَا يَرَى الْوَلَدُ لِوَالِدِهِ، يُعَظِّمُهُ، وَيُفَخِّمُهُ، وَيَبَرُّ قَسَمَهُ فَاقْتَدُوا أَيُّهَا النَّاسُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي عَمِّهِ الْعَبَّاسِ، وَاتَّخِذُوهُ وَسِيلَةً إِلَى اللهِ ﷻ فِيمَا نَزَلَ بِكُمْ»[3] ولقد توجه العباس ﷺ إلى الله ﷻ بالصلاة وبدعوات كثيرة اتضح من خلالها مدى إخلاصه وتواضعه، ومن جملة ما دعا به العباس ﷺ في هذا اليوم: "اللَّهُمَّ إِن

---

(١) الكامل، ابن الأثير، جـ ٢، صـ ٣٧٥، مرجع سابق.

(٢) صحيح بن حبان، جـ ٧، صـ ١١٠باب صلاة الاستسقاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م.

(٣) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم، كتاب معرفة الصحابة جـ ٣، صـ ٣٧٧.

عنْدك سحابا وَإِن عنْدك مَاء فانشر السَّحَاب ثمَّ أنزل مِنْهُ المَاء، ثمَّ أنزلهُ علينا وَاشْدُدْ بِهِ الأَصْل وأطل بِهِ الْفَرْع وأدر بِهِ الضَّرع، اللَّهُمَّ شفعنا إِلَيْك عَمَّن لَا منطق لَهُ من بهائمنا وأنعامنا. اللَّهُمَّ اسقنا سقيا وَادعَة بَالِغَة طبقًا مجيبا، اللَّهُمَّ لَا نرغب إلاّ إِلَيْك وَحدك، لَا شريك لَك، اللَّهُمَّ إِنَّا نشكوا إليك سغب كل ساغب وَعدم كل عادم وجوع كل جَائِع وعري كل عَار وَخَوف كل خَائِف."[١]

كما كان من جملة دعاء العباس ﷺكذلك: "اللَّهُمَّ أَنْتَ الرَّاعِي فَلَا تُهْمِلِ الضَّالَّةَ، وَلَا تَدَعِ الْكَسِيرَ بِدَارِ مَضْيَعَةٍ، فَقَدْ صَرَخَ الصَّغِيرُ وَرَقَّ الْكَبِيرُ وَارْتَفَعَتِ الشَّكْوَى، وَأَنْتَ تَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، اللَّهُمَّ فَأَغْنِهِمْ بِغِنَاكَ قَبْلَ أَنْ يَقْنَطُوا فَيَهْلِكُوا، فَإِنَّهُ لَا يَيْأَسُ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ. فَنَشَأَتْ طَرِيرَةٌ[٢] مِنْ سَحَابٍ، فَقَالَ النَّاسُ: تَرَوْنَ تَرَوْنَ! ثُمَّ الْتَأَمَتْ وَمَشَتْ فِيهَا رِيحٌ ثُمَّ هَدَأَتْ وَدَرَّتْ، فَوَ اللهِ مَا تَرَوَّحُوا حَتَّى اعْتَنَقُوا الْجِدَارَ وَقَلَّصُوا الْمَآزِرَ، فَطَفِقَ النَّاسُ بِالْعَبَّاسِ يَمْسَحُونَ أَرْكَانَهُ وَيَقُولُونَ: هَنِيئًا لَكَ سَاقِيَ الْحَرَمَيْنِ"[٣]

كما لم يكتف عمر ﷺ بهذه الدعوات الصادقة من العباس ﷺ، فكان من جملة ما فعل أنه "أَخَذَ بِيَدِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَإِنَّ دُمُوعَ الْعَبَّاسِ لَتَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ - ﷺ - وَبَقِيَّةِ آبَائِهِ وَكُبْرِ رِجَالِهِ، فَإِنَّكَ تَقُولُ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ: ﴿**وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ**﴾ [الكهف: ٨٢] فَحَفِظْتَهُمَا بِصَلَاحِ آبَائِهِمَا، فَاحْفَظِ اللَّهُمَّ نَبِيَّكَ - ﷺ - فِي عَمِّهِ، فَقَدْ دَلَوْنَا بِهِ إِلَيْكَ مُسْتَشْفِعِينَ مُسْتَغْفِرِينَ.."[٤]

من خلال ما سبق من هذه الروايات يمكن استخلاص عدة نتائج مهمة يمكن بيانها فيما يلي:

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، جـ٧، صـ٣٢، دار إحياء التراث العربي، بدون.

(٢) الطريرة من السحاب: القطعة منه (ينظر: لسان العرب، ابن منظور، جـ١، صـ٥٠١) .

(٣) الكامل، ابن الأثير، جـ٢، صـ٣٧٦، مرجع سابق.

(٤) الكامل، ابن الأثير، جـ٢، صـ٣٧٦.

أولًا: اتضح من خلال الروايات سالفة الذكر أن الأسباب المادية وحدها ليست هي الكفيلة بحل الأزمات الاقتصادية كما مر، بل بجوار الأسباب المادية هناك أشياء معنوية يغفل عنها الكثير ممن يتصدرون لحل الأزمات كالتقرب إلى الله بحسن معاملة أهل البيت و الضعفاء وكبار السن، وقد قال النبي ﷺ: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ»(١).

ولقد فطن إلى أهمية هؤلاء الضعفاء قوَّاد الجيش المسلم، فقد كانوا يأخذونهم في المعارك للتبرك بدعواتهم، فحينما "صَافَّ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ(٢) التُّرْكَ وَهَالَهُ أَمْرُهُمْ سَأَلَ عن محمد بن واسع(٣) فقيل: هو ذاك فِي الْمَيْمَنَةِ يُبَصْبِصُ بِإِصْبَعِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ قَالَ: تِلْكَ الإِصْبَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ سَيْفٍ شَهِيرٍ وَشَابٍّ طَرِيرٍ".(٤)

وعلى هذا أصَّل عمر لأهمية الاستعانة بالصالحين في الأزمات فقد" اتفق جمهور الفقهاء على استحباب الاستسقاء بأقارب النبي ﷺ وبالصالحين من المسلمين الذين عرفوا بالتقوى والاستقامة،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، جـ٤، صـ٣٦، كتاب الجهاد والسير، باب من استعان بالضعفاء، مرجع سابق.

(٢) قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين أمير، فاتح، من مفاخر العرب. نشأ في الدولة المروانية. فولي الري في أيام عبد الملك بن مروان، وخراسان في أيام ابنه الوليد. ووثب لغزو ما وراء النهر، فتوغل فيها. وافتتح كثيرا من المدائن، كخوارزم، وسجستان، وسمرقند. وغزا أطراف الصين وضرب عليها الجزية. وأذعنت له بلاد ما وراء النهر كلها. واشتهرت فتوحاته، فاستمر ولايته ثلاث عشرة سنة. (ينظر: الأعلام، الزركلي، جـ٥، صـ١٨٩).

(٣) هو: محمد بن واسع بن جابر الأزدي، أبو بكر: فقيه ورع، من الزهاد. من أهل البصرة. عرض عليه قضاؤها، فأبى. وهو من ثقات أهل الحديث (ينظر الأعلام، الزركلي، جـ٧، صـ١٣٣).

(٤) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الإمام الذهبي، جـ٨، صـ٢٦٠، مرجع سابق. والشاب الطرير هو صاحب الهيئة الحسنة.

لأن عمر ﷺ استسقى بالعباس ﷺ وقال: اللهم إنا كنا إذا قحطنا توسلنا إليك بنبيك فتسقينا، وإنا نتوسل بعم نبينا فاسقنا، فيسقون أو يستحب أن يتوسل كل في نفسه بما قدم من عمل صالح. واستدل على هذا بحديث ابن عمر ﷺ في الصحيحين عن رسول الله ﷺ في قصة أصحاب الغار، وهم الثلاثة الذين آووا إلى الغار، فأطبقت عليهم صخرة، فتوسل كل واحد بصالح عمله، فكشف الله عنهم الصخرة، وقشع الغمة، وخرجوا يمشون"[١].

ثانيا: من أهم ما ميَّز السياسة العمرية في حل الأزمة في عام الرمادة التسلسل المنطقي في علاجها الروحي، فقد دعا الرعية للتوبة والاستغفار وتوجه إلى الله ﷻ بالدعاء والصلاة، يقول الأستاذ هيكل: "لم يجد عمر ﷺ ملجأ من الله إلا إليه، لقد كان طيلة هذه الأشهر التسعة يصلي بالناس العشاء ثم يدخل إلى بيته فلا يزال يصلي حتى آخر الليل ضارعًا إلى الله ألا يجعل هلاك الأمة على يديه، فلما لم يستجب ربه دعاءه، ولم تُسعف السماء الناس بمطر، عزم على أن يستسقي، فكتب إلى عماله أن يخرجوا بالناس في يوم عَيَّنه، وأن يتضرعوا إلى ربهم ﷻ أن يرفع المحل عنهم، وخرج هو بالناس ذلك اليوم وعليه بُرْدُ رسول الله، فلما انتهى إلى المصلى تضرع الناس وألحوا في الدعاء، وبكى عمر ﷺ بكاءً طويلًا حتى أَخضل لحيته، وكان العباس بن عبد المطلب ﷺ قائمًا إلى جنبه، فأخذ عمر ﷺ بيده ورفع رأسه إلى السماء وقال: « اللهم إنا نستشفع بعم رسولك إليك »: ودعا العباس ربه وعيناه تهملان، وأقام الناس يدعون ربهم تضرعًا وخشية وقد أيقنوا الموت إن لم يسعفهم الله بالمطر، واستجاب لله لعباده المؤمنين الذين صدقوه ما عاهدوا عليه، إن الله بعباده لرءوف رحيم. استجاب لله لعباده ففتح أبواب السماء بماءٍ منهم روسيل دافق، وسرعان ما رَبَت

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية، مجموعة من الباحثين، جـ٣، صـ ٣١٥، والحديث رواه البخاري في صحيحه، جـ ٣، صـ ٧٩، كتاب البيوع، باب إذا اشترى شيئا بغير إذنه فرضي.

الأرض واخضرت "[١].

وحق لأهل البيت ﷺ أن يفتخروا بهذه الكرامة للعباس رضي الله عنه، فقد قال الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ[٢] رضي الله عنه:

بِعَمِّي سَقَى اللهُ الْحِجَازَ وَأَهْلَهُ عَشِيَّةَ يَسْتَسْقِي بِشَيْبَتِهِ عُمَرْ
تَوَجَّهَ بِالْعَبَّاسِ فِي الْجَدْبِ رَاغِبًا إِلَيْهِ فَمَا إِنْ رَامَ حَتَّى أَتَى الْمَطَرْ
وَمِنَّا رَسُولُ اللهِ فِينَا تُرَاثُهُ فَهَلْ فَوْقَ هَذَا لِلْمُفَاخِرِ مُفْتَخَرْ[٣].

وأنشد حسان بن ثابت رضي الله عنه في ذلك قائلًا:

سأل الإمام وقد تتابع جدبنا فسقى الغمام بغرة العباس
عم النبي وصنو والده الذي ورث النبي بذاك دون الناس
أحيا الإله به البلاد فأصبحت مخضرة الأجناب بعد اليباس[٤]

ثالثًا: بيَّنت السياسة العمرية أن الاستقامة على طاعة الله ﷻ وتطبيق السنن من أهم العوامل التي أدت إلى انفراج الأزمة عام الرمادة وفي ذلك دعوة إلى تطبيق الشريعة والاستقامة على أوامرها والبعد عن نواهيها.

---

(١) الفاروق عمر، محمد حسين هيكل، صـ٢٨٠.

(٢) الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي من قريش: شاعر، من فصحاء بني هاشم. كان معاصرا للفرزدق والأحوص، وله معهما أخبار. ومدح عبد الملك بن مروان، وهو أول هاشمي مدح أمويا بعد ما كان بينهما فأكرمه. (ينظر: الأعلام، الزركلي، جـ٥، صـ١٥٠) .

(٣) الكامل، ابن الأثير، جـ٢، صـ٣٧٦، مرجع سابق.

(٤) البدء والتاريخ، بن طاهر المقدسي، جـ٢، صـ٣٧٦، مرجع سابق، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر القرطبي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢، ت: علي محمد البيجاوي.

الخاتمة

هكذا أصِلُ إلى ختام هذا البحث، والذي جاء تحت عنوان: (التدابير الشرعية للخروج من الأزمات الاقتصادية عام الرمادة ١٨ هـ أنموذجا)، وقد قضيت بين رحابه وقتا غير يسير، وجدت فيه من المتعة العلمية واللذة الروحية ما ذلَّل لي الصعاب ويسَّر لي المشاق، وقد توصلت من خلال معايشته إلى العديد من النتائج والتوصيات، يمكن ذكرها فيما يلي:

أولاً: النتائج:

١. الأزمات التي تتعرض لها الأمم والمجتمعات كثيرة ومتنوعة، لكن مع كثرتها وتنوعها لها من الحلول والتدابير الشرعية ما يتواءم معها.

٢. ضرورة النظر في التاريخ الإسلامي وخصوصا عصر النبوة والخلافة الراشدة لاستلهام الدروس والعبر، ومحاولة حل الأزمات الاقتصادية على ضوء ما فعلوا.

٣. الحلول النافعة لتخطي الأزمات الاقتصادية هي التي لا تفصل بين التدابير المادية والروحية، ولكنها هي التي تجمع بين الأخذ بالأسباب المتاحة وصدق اللجوء إلى الله.

٤. من أهم الأسباب المادية التي تؤدي إلى الخروج من الأزمات الاقتصادية التكافل والتعاون بين أفراد الأمة، ومحاولة مساعدة الرعية في تخطي الأزمات، وترشيد الاستهلاك.

٥. من أهم الأسباب الروحية التي تؤدي إلى تخطي الأزمات الاقتصادية تقديم القدوة في القيادة والبعد عن المعاصي والذنوب، وصدق اللجوء إلى الله بالدعاء والصلاة.

٦. القوة والصرامة في مواجهة الأزمات من أقوى العوامل التي تؤدي إلى تخطيها ومحاولة السيطرة عليها.

ثانيًا: التوصيات:

١. عمل دراسات موسعة حول شخصية عمر بن الخطاب ﷺ لمحاولة حل الأزمات التي تتعرض لها الأمم من خلال النظر في سياسته وخلافته.

٢. قراءة عصر النبوة والخلافة الراشدة قراءة متأنية لإيجاد الحلول المناسبة للخروج من

الأزمات المختلفة.

٣. لفت عناية المنظمات الغوثية التي تعمل في مجال الإغاثة والمجاعات إلى العمل بالسياسة العمرية في عام الرمادة.

٤. الجمع بين الحلول المادية والروحية في التصدي للأزمات التي تعيشها الأمة الإسلامية.

المصادر والمراجع

١. اتصال الأزمة ودورها في إدارة الأزمات، شوقي أبو شارب، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية والاجتماعية، جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر، السنة: ٢٠١٤/ ٢٠١٥.

٢. أثر العقيدة الإسلامية في اختفاء الجريمة، د / عثمان بن جمعة ضميرية، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٣. إدارة ومعالجة الأزمات في الإسلام، د. سوسن سالم الشيخ، دار النشر للجامعات، الطبعة الأولى: ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م.

٤. الاستراتيجية الاتصالية لعمر بن الخطاب في إدارة الأزمات نموذج عام الرمادة، عريبي عبدالحميد، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الدكتور/ الطاهر مولاي أبو سعيدة، السنة: ٢٠١٥/ ٢٠١٦م.

٥. أسس ومبادئ البحث العلمي، د . فاطمة عوض صابر، د. ميرفت على خفاجة، مكتبة الإشعاع الفنية، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٢م .

٦. الأشباه والنظائر، تاج الدين السبكي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: ١٤١١ هـ/ ١٩٩١م.

٧. اشتراكية عمر، محمود شلبي، بيروت دار الجيل، الطبعة الثانية ١٩٧٤م.

٨. الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ، ت: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض.

٩. أصول الاقتصاد الإسلامي، د. رفيق يونس المصري، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠م.

١٠. إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١١ هـ/ ١٩٩١م.

١١. الإغاثة الإسلامية، د. سعد الدين عبد الحي، ورقة بحث منشورة على شبكة الانترنت.

١٢. المقاصد الشرعية لفقه الأزمات أحمد محمود أحمد محمود أبو حسوبة، بحث منشور على شبكة الإنترنت.

١٣. الأموال، ابن زنجويه، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

١٤. البحث العلمي في صياغة جديدة، د. عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، الطبعة التاسعة، سنة: ١٤٢٣هـ.

١٥. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، دار الهداية، بدون، مجموعة من المحققين.

١٦. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الحافظ الذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

١٧. تاريخ المدينة، ابن شبة، ١٣٩٩هـ، ت: فهيم محمد شلتوت.

١٨. تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٩٧، ت: أكرم ضياء العمري.

١٩. تاريخ دمشق، ابن عساكر، ، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥م، ت: عمرو بن غرامة العمروي.

٢٠. الترغيب والترهيب، الحافظ المنذري، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ، ت: إبراهيم شمس الدين .

٢١. تفسير الشعراوي، الشيخ / محمد متولي الشعراوي، ، مطابع أخبار الأيام، بدون.

٢٢. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، الطبعة الأولى: ١٩٩٨.

٢٣. التكافل الاجتماعي في الإسلام، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩١م.

٢٤. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية: ١٣٨٤ هـ/

١٩٩٤م، ت: أحمد البردويني، إبراهيم أطفيش.

٢٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتب العلمية، ١٤٠٩ هـ.

٢٦. دور القيادة في إدارة الأزمة، سلوى حامد الملا، سلسلة كتاب الأمة، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، قطر، العدد ١٦٦، السنة: ١٤٣٦هـ.

٢٧. السنن الكبرى، الإمام النسائي، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

٢٨. السنن الكبرى، البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٩. السيرة النبوية، ابن هشام، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية: ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٥م، ت: مصطفى السقا وآخرون.

٣٠. سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته وعصره، د. علي محمد الصلابي، مؤسسة اقرأ، الطبعة الأولى: ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥م.

٣١. الأدب المفرد، البخاري، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م.

٣٢. صحيح البخاري، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى: ١٤٢٢ هـ، ت: محمد زهير بن ناصر.

٣٣. صحيح مسلم، ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ت: محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٤. الصكوك والأرزاق الشهرية (إحدى السياسات المقترحة لعلاج الأزمات الاقتصادية في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب)، د/ سليم مفتاح عبد العزيز، بحث منشور على شبكة الانترنت، تاريخ النشر: ٣٠/ ٤/ ٢٠١٩م.

٣٥. الطبقات الكبرى، بن سعد، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٦٨م، ت: إحسان عباس.

٣٦. تاريخ الطبري، أبو جعفر الطبري، ، دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٨٧هـ.

٣٧. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدرالدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بدون.

٣٨. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م.

٣٩. كتاب التعريفات، الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعةالأولى١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م.

٤٠. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤١٤هـ.

٤١. مختار الصحاح، الرازي، المكتبة العصرية والدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة: ١٤٢٠ هـ.

٤٢. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، بدون.

٤٣. المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ.

٤٤. معالجة الخليفة عمر بن الخطاب لمشكلة المجاعة عام الرمادة، د. صلاح التيجاني حمودة، ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٤٥. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وآخرون، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، بدون.

٤٦. التشريع والفقه في الإسلام تاريخًا ومنهجًا، مناع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الثانية: ١٤٠٢ هـ- ١٩٨٢ م.

٤٧. مناهج البحث العلمي، د . عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثالثة، بدون .

٤٨. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م، ت: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا.

٤٩. المنثور في القواعد الفقهية، الزركشي، وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة الثانية: ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.

٥٠. نظرات في فقه الفاروق عمر بن الخطاب، محمد محمد المدني، ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢م.

٥١. سنن ابن ماجة، ابن ماجة، كتاب إقامة الحدو، دار إحياء الكتب العربية، ت محمد فؤاد عبد الباقي

٥٢. معرفة السنن والآثار، أبو بكر البيهقي، دار الوفاء بالمنصورة، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١م، ت: عبد المعطي أمين قلعجي.

٥٣. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ، دار المعرفة، بيروت: ١٣٧٩ هـ.

٥٤. سبل السلام، الصنعاني، دار الحديث، بدون.

٥٥. الداء والدواء، ابن قيم الجوزية، ، دار المعرفة، المغرب، الطبعة الأولى: ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧م.

٥٦. المعجم الأوسط، الطبراني، دار الحرمين، القاهرة، بدون.

٥٧. الموسوعة الفقهية الكويتية، مجموعة من الباحثين، دار السلاسل، الكويت، الطبعة الثانية

٥٨. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر القرطبي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢، ت: علي محمد البيجاوي.

٥٩. الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.

٦٠. المستصفى، أبو حامد الغزالي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣م.

٦١. المغازي، الواقدي، دار الأعلمي، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م.

٦٢. وفاء الوفى بأخبار دار المصطفى، أبو الحسن السمهودي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: ١٤١٩.

٦٣. التاريخ الكبير، البخاري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، بدون.

٦٤. معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية: ١٩٩٥.

٦٥. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، محمد بن محمد حسن شراب، دار القلم، دمشق، بيروت الطبعة الأولى: ١٤١١ هـ.

٦٦. تهذيب التهذيب، ابن حجر، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى: ١٣٢٦ه.

٦٧. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، دار الفكر بيروت: ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٩م.

٦٨. رجال صحيح مسلم، ابن منجويه، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٧ هـ.

٦٩. مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى: ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٤م، ت: روحية النحاس وآخرون.

٧٠. عبقرية عمر، عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر، الطبعة العاشرة: ٢٠٠٦م.

٧١. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، الحافظ السخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣م.

٧٢. وفيات الأعيان، ابن خلكان، دار صادر، بيروت، بدون.

٧٣. معجم أعلام شعراء المدح النبوي، عبد الله بن عمر محمد أحمد درنيقة، دار الهلال، مصر الطبعة: الأولى: ١٩٩٧ م.

فهرس موضوعات البحث

ملخص البحث باللغة العربية..... ١٨٢٩
ملخص البحث باللغة الإنجليزية..... ١٨٣٠
المقدمة ١٨٣١
أهمية الموضوع: ١٨٣١
أسباب اختيار الموضوع: ١٨٣٢
أهداف الموضوع: ١٨٣٢
حدود الدراسة: ١٨٣٢
المناهج المتبعة في الدراسة: ١٨٣٢
خطة البحث: ١٨٣٣
التمهيد ١٨٣٥
أولاً: التعريف بمفردات عنوان البحث: ١٨٣٥
ثانيًا: ضوء على عام الرمادة: ١٨٤٠
المبحث الأول: التدابير المادية للخروج من الأزمات الاقتصادية اقتباسا من عام الرمادة ..١٨٤٧
المطلب الأول: التكافل والتعاون..... ١٨٤٨
أولاً: الانفاق من بيت المال:..... ١٨٤٩
ثانيًا: الاستعانة بالأمصار:..... ١٨٥٣
المطلب الثاني: التخفيف ورفع الحرج حالة الأزمات ١٨٥٩
أولاً: تعليق العمل بحد السرقة: ١٨٦٠
ثانيًا: تأخير جمع الزكاة: ١٨٦٤
المطلب الثالث: ترشيد الاستهلاك ١٨٦٧

المبحث الثاني: التدابير الروحية للخروج من الأزمات الاقتصادية اقتباسا من عام الرمادة. ١٨٧٢
المطلب الأول: القدوة في القيادة..... ١٨٧٣
أولاً: القدوة في نفسه: ١٨٧٥
ثانيًا: القدوة في أهل بيته: ١٨٧٨
ثالثًا: متابعة عمر للرعية بنفسه والعمل بيده: ١٨٧٩
المطلب الثاني: طلب التوبة والاستغفار ١٨٨٣
المطلب الثالث: الدعاء وصدق اللجوء إلى الله ١٨٩١
المطلب الرابع: الاستسقاء ١٨٩٥
أولاً: معنى الاستسقاء، وحكمه، وبيان الحكمة منه..... ١٨٩٥
الحكمة من مشروعيته: ١٨٩٦
ثانيًا: استسقاء عمر في عام الرمادة: ١٨٩٦
الخاتمة..... ١٩٠٣
أولاً: النتائج: ١٩٠٣
ثانيًا: التوصيات:..... ١٩٠٣
المصادر والمراجع ١٩٠٥
فهرس موضوعات البحث ١٩١١

تم بحمد الله تعالى